سجل تحت رقم ..... FAC.LET
بتاريخ 02692
2015

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم الادب العربي

جامعة ابوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
قسم الأدب العربي

إستراتيجية البناء الحضاري
في فكر مالك بن نبي

مذكرة لنيل شهادة الماستر

تخصص : حضارة عربية إسلامية

إعداد الطالب:

بن عبد القادر عبد الصمد

إشراف الأستاذ

بشيري احمد

السنة الجامعية: 2013-2014

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَ لَيسَ عَلَيْكُمْ جَنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَّا تَعَمَدَتْ قُلُوبُكُم. ﴾

الآية 05 من سورة الأحزاب

" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه، إلا و قا في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على إستيلاء النقص على جملة البشر".

* العماد الأصفهاني*

الاهداء

- إلى كل نفس تواقة للتميز والإبداع
- إلى من بالحب أشرقت نفسه, وبه قد وصل إليها
- إلى من بدونهم لا تنهض أو ترتقي الأمم
- إلى من يعطي و لا يعرف لعطائه حدودا
- إلى من يحن إلى جذوره و تحلق نفسه في آفاق المستقبل
- إلى من لا يعرف الكره إلى قلوبهم سبيلا
- إلى من أطمح لأكون مثلهم
- إلى من أسعد عندما أضحي من أجلهم
- إلى كل أولئك وهؤلاء... أهدي بحثي هذا

بن عبد القادر عبد الصمد

شكر وتقدير

الشكر لله عز وجل الذي أنار لي الدرب، وفتح لي أبواب العلم وأمدني بالصبر والإرادة.

انطلاقا من العرفان بالجميل، فإنه ليسرني وليثلج صدري أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذي، ومشرفي الأستاذ :بشيري احمد الذي مدني من منابع علمه بالكثير، والذي ما توانى يوما عن مد يد المساعدة لي وفي جميع المجالات، وحمدا لله بأن يسره في دربي ويسر به أمري وعسى أن يطيل عمره ليبقى نبراسا متلألئا في بور العلم والعلماء.وكما اتوجه بالشكر الجزيل الى االاساتذة الكرام الذين اشرفوا على مناقشة هذه المذكرة .

مدخل

مقدمة

إنّ فعل التغيير الذي ينهض به رواد الفعل الإصلاحي وزعماء حركة التجديد لا ينطلق من العدم والفراغ بل له أسبابه وانعكاساته، ينمو ويتبلور تدريجيا حتى ينضج فيبلغ ويكتمل، فيصبح صالحا للاستعمال والاستثمار، هو الأمر الذي عرفته الحضارات السابقة والحضارة الإسلامية منذ أن تأسست على يد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقت أفولها وانهيار معالمها، ولم يبق منها سوى الذكريات والعبر محفوظة في الأذهان وفي الكتب وفي غيرها من مصادر التاريخ المباشرة وغير المباشرة.

لما جاء عصر الانحطاط شهد فيه المسلمون أزمة عميقة عمّت حياتهم ككل دينيا وفكريا وسياسيا واجتماعيا، وانتهى الأمر في العصر الحديث بتعرض كافة الشعوب العربية والإسلامية للغزو الاستعماري الفكري والثقافي والعسكري الأوربي، الغزو الاستعماري الذي جدّ واجتهد وبذل كل ما في وسعه لطمس الشخصية العربية الإسلامية، وسخّر لذلك كل ما أوتي من قوة مادية ومعنوية، فازداد العالم العربي والإسلامي ضعفا وانحطاطا على الرغم من المحاولات الإصلاحية والمبادرات التحررية والفكرية والسياسية المنبعثة ممن تسلّحوا بالروح الثورية الإسلامية سواء في مجال الفكر أو في مجال العقيدة أو في مجال السياسة، من هؤلاء المفكرين ورواد الإصلاح ودعاة التجديد وأصحاب الفكر الحرّ الداعي إلى النهضة .«مالك بن نبي» واحدًا من أعلام الفكر الإسلامي الذين حجب فكرهم عن الناس لعدم اهتمام الدارسين بهم .. إنه المفكر العملاق الذي نذر حياته في خدمة القضايا الإنسانية العادلة ابتداء من القضية الجزائرية إلى القضايا القومية والإسلامية وانتهاء بمعضلات العالم الثالث, فلقد أمضى أكثر من ثلاثين عاماً متأملاً يحلّل ويضع شروط النهضة للمجتمع الإسلامي. ورغم التعتيم والتهميش الذي مورس ضده حيا وميتا، إلا أن فكره بقي حيا يُقرأ وأفكاره ما زالت تنبض بالحيوية والفعالية، تتداولها أجيال ما بعد الاستقلال في الجزائر وفي العالم الإسلامي برمته.

إنّ خطة "مالك بن نبي" وإستراتيجيته في البناء الحضاري وأسلوبه في الإصلاح والتجديد كل ذلك يعكس فكره وفلسفته في الحضارة وفي التاريخ، ويجد فيها من دون شك المسلم وغير المسلم في عالم التخلف والانحطاط تعبيرا عن أوضاعه وعن تطلعاته وآماله، كما يجد فيها الوسائل

والسبل الكفيلة بالانتقال من عالم التخلف إلى عالم التحضر، فهي إستراتيجية تستحق العناية والاهتمام، وجديرة بالدراسة والبحث والاستثمار .

إنّ الإشكالية التي يعالجها البحث تدور حول ما تتميز به هذه الإستراتيجية عن غيرها من المحاولات الفكرية والمبادرات الفلسفية التي سبقتها أو تلك التي عاصرتها، ومحاولة "مالك بن نبي" أفرزتها ظروف تاريخية، فكرية وسياسية واجتماعية، عرفها العالم العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، وشهدتها المحاولات الإصلاحية الأخرى لكنها لم تكن في مستوى محاولة "مالك بن نبي". لذا تناول البحث الإشكالية في إطار أحوال العالم العربي والإسلامي في أيام "مالك بن نبي"، وفي سياق الحركة الإصلاحية الحديثة والمعاصرة داخل المجتمع العربي والإسلامي، وركّز البحث على نظرية الحضارة وعلى أسس ومعالم وملامح هذه النظرية، كما وقف على ظاهرة التجديد الحضاري من حيث أسسها وملامحها، خاصة ملمح إستراتيجية التجديد الحضاري واستمرار الأمة باعتبارها أساس إستراتيجية البناء الحضاري في فلسفة "مالك بن نبي"، ثم ركّز البحث على نقد الفكر الإصلاحي لدى "مالك بن نبي"، وعلى مكانة هذا الفكر الإصلاحي ومكانة النظرية المنبثقة عنه في سياق الحركة الإصلاحية الحديثة والمعاصرة في العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة وفي العالم المتخلف بصفة عامة .

مبررات اختيار الموضوع:

قد يكون من العسير تحديد أسباب أو مبررات اختيار موضوع ما ميدانا ومجالا للبحث والدراسة، ذلك أن البحث لا يتأتى نتيجة عامل محدد واحد يؤدي إلى قرار بطرقه،وإنما ينشأ تدريجيا، وينمو على شكل رغبة عامة ، تجد من الدواعي ما يؤكدها ويقويها بين الفينة والأخرى .ولعل أوفر الدواعي أو المبررات التي جعلتني أنجذب إلى هذا الموضوع ما يلي:

1-يعد مالك بن نبي من الرعيل الأول والجيل المؤسس والصانع الحركة الإصلاحية الإسلامية المعاصرة، ، إذ احتضن العمل الدعوي ومارسه وأسهم في التأسيس له تنظيريا ومنهجيا وتنظيميا .فقد كان معاصرا بل وقرينا لمعظم رموز وشخصيات الحركة الإسلامية المنظمة بمدارسها المختلفة، والحركة الإصلاحية بتوجهاته المتعددة ، مثل حسن البنا وسيد قطب ، ومحمد الغزالي، وسيد سابق ، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب...

2 -يعتبر مالك بن نبي بإنتاجه الفكري والثقافي المتنوع والشامل، وبعمله الدعوي المنظم والمستمر، وبجهوده الإصلاحية في ميادين التعليم والتربية والثقافة ، مدرسة كاملة وتجربة غنية وفذة، تستقطب اهتمام الباحثين في الحقل الإسلامي.

3 -يعد مالك بن نبي من رجال الحركة الإسلامية القلائل، الذين جمعوا بين الثقافة الإسلامية الأصيلة والإلمام بالفكر الغربي وتصوراته، ومناهجه، ومدارسه، ورؤاه الفلسفيةوالاجتماعية والنفسية والقانونية والحضارية ...وذلك بحكم مزاولته الدراسة في فرنسا لما ابتعث إليها .هناك، أتقن الفرنسية لغة وأدبا، فكانت وسيلته للإطلاع على عموم إنتاج الثقافة الغربية.

4 -لقد عايش مالك بن نبي فترات الاحتلال الغربي للبلاد المسلمة، وشاهد بعينه الأذى والظلم المصاحب له، كما كان شاهد عيان أيضا على رحيل تلك القوى الغازية من أرض المسلمين وجلائها عنها تحت ضغط الحركات التحررية المتنوعة وساهم هذا بدوره في بروز

بروز الصراع بين من ينادي بالتشبث والتمسك بالإرث القيمي للأمة والمحافظة عليه ، يجعله محط الأنظار والاهتمام لدى الباحثين والدارسين.

-5إن البحث في الشخصيات الفكرية – وفي أي جانب منها – يجلي تجاربها ويضعها على بساط البحث، مما يمكن من إثراء الرؤى الفكرية والمنهجية وتنميتها، والتي يحتاج إليها حاملو لواء الدعوة في كل آن .فهذا النوع من البحوث، يجعل ساحة الدعوة الفكرية غنية.

هذه جملة المبررات أو الدوافع التي حملتني على هذا الاختيار، وجعلتني أطرق أبواب هذا المشروع، وهي – كما يظهر – مزيج بين ما هو ذاتي، وما هو موضوعي، اجتمعت لتعطي هذه الرغبة في البحث.

إشكالية الموضوع:

تعتبر جهود المفكرين والدعاة والمصلحين بمثابة خبرات يتوجب على كل من يرنو إلى الإصلاح، وينشد التغيير الناجح أن يتدارسها ويقف عندها مليا، ليستلهم منها العبر ويكتشف مواطن الخلل، ويدرك المضامين، ومن ثم يمارس عملية الانتقاء الرشيد بوعي وفعالية .ولكن الإشكالية المركزية التي تطرح نفسها ونحن نعرض لشخصية مالك بن نبي وجهوده في الفكر والدعوة هي: بماذا يتحدد التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي ؟، وما قيمة فكر مالك بن نبي في الحركة الإصلاحية الحديثة والمعاصرة؟ ومن خلال ذلك نطرح التساؤلات التالية:

من هو مالك بن نبي ؟ وما هو مسار حياته ؟ وما هي جهوده الفكرية والدعوية ؟ وما هي الدوافع والأسباب التي تقف وراءها ؟ ثم ماهي الأسس والمنطلقات التي استندت إليها هذه الجهود وما عمق هذه الجهود ؟ وما هي الغايات التي رسمت لتحقيقها ؟ وهل حققتها ؟ وأخيراهل يمكن توظيفها حاليا أم أن التطورات المعاصرة والمتسارعة على الساحتين الإسلامية والعالمية تفرض تجاوزها ؟

تمثل هذه الأسئلة بمجموعها – وما قد يتفرع عنها أيضا من أسئلة جزئية – إشكالية البحث العامة، وتشكل في الآن نفسه محاور المشروع الذي آمل أن أوفق في إنجازه.

أهداف البحث : يسعى هذا البحث ويروم إلى تحقيق ما يلي:

1 –رصد جهود مالك بن نبي وتجربته في الفكر والدعوة، وجمع العناصر المتناثرة من خلال مختلف آثاره ومحاولة حبك كل ذلك في إطار منهجي أكاديمي متكامل.

2 –محاولة إبراز الجهود المثلى في حركة الفكر والدعوة الإسلامية وبيان الأثر الذي تركته أو حققته في الحركة الاصلاحية في العالم المعاصر.

3 –تبرز بعض أهداف البحث من خلال التأمل في الدوافع والأسباب التي دفعتني إلىاختيار هذا البحث، مثل التعريف بشخصية مالك بن نبي وتراثه ، وتقديمها للمهتمين بالشأن الفكري والدعوي، تفعيل لعملية الاستلهام والاسترشاد، ودعوة إلى التأمل والتدبر والمراجعة والتثمين.

الدراسات السابقة:

لا يرتاب أحد في مكانة مالك بن نبي على مستوى الساحة الإسلامية، مع أنني أعتقد أنه لم يلتفت إليه الباحثون بالشكل الذي يروي الغليل .ومن ثم فإن الجهود العلمية التي بذلت في سبيل إماطة اللثام عن هذه الشخصية الفكرية والدعوية، تبقى دون الآمال المرجوة.

1ـــ كتاب (التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي) مؤلفه الدكتور علي القريشي وهذا الكتاب تناول فكرابن نبّى من الناحية التربوية والاجتماعية فقط .

2ـــ كتاب (مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً) مؤلفه الدكتور أسعد السحمراني، حيث تناوله من ناحية الفكر الثوري .

3ـــ كتاب (ثغرة في الطريق المسدود) مؤلفه سيد دسوقي حسن تناول فكرمالك بن نبي من الناحية التربوية

4ـــ مقال بعنوان (أسباب انحطاط المسلمين دراسة في أفكار مالك بن نبي) بقلم إبراهيم البيومي غانم في مجلة منبر الشرق لم يتجاوز أربع صفحات، والموضوع ـــ في نظري ـــ يحتاج إلى رسالة علمية كاملة، تتناول فكره الإسلامي، ومواقفه الإسلامية في الحضارة المعاصرة.

5ـــ مقال بعنوان (التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر) حيث بلغ عشر صفحات للدكتور عمّار الطالبي .

6ـــ مقال بعنوان (التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي بين تحديد العناصر ومعالجة الحركة) حيث بلغ أربع صفحات، مجلة الإسلام لا يوجد اسم لكاتب المقال.

منهج البحث:

يتكئ موضوع البحث على المنهج الاستقرائي أساسا ، ذلك أني أحاول جمع جزئياته المتناثرة ، ثم السعي لإيجاد العلاقات التي تجمع بينها، لإدراك المعالم الكبرى لعناصر البحث ومن ثم صياغة أحكام عامة تقترب من درجة القبول .هذا، والبحث يستأنس في مواضع مختلفة منه بمناهج أخرى تمده على حسب ما تقتضيه

مادته، كالمنهج التحليلي والوصفي وغيرهما، ذلك أن الحاجة البحثية قد تفرض نفسها في اللجوء إليها، خصوصا عند مناقشة بعض القضايا والمسائل للوقوف على كنهها.

وقد اقتضت خطة البحث أن تكون كالتالي:

مقدمة

الفصل الأول : عصر وحياة مالك بن نبي

المبحث الأول : حياة مالك بن نبي

المطلب الأول: اسمه ومولده

المطلب الثاني: نشأته

المطلب الثالث:طلبه للعلم

المبحث الثاني : شخصيته والعوامل المؤثرة في ثقافته

المطلب الأول : شخصيته

المطلب الثاني : العوامل المؤثرة في ثقافته

المطلب الثالث: وفاته

المبحث الثالث : أعماله ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه.

المطلب الأول : أعماله

المطلب الثاني: مؤلفاته

المطلب الثالث: أقوال العلماء

الفصل الثاني : الحضارة عند مالك بن نبي

المبحث الأول : تعريف الحضارة ومفهومها عند مالك بن نبي

المطلب الأول : تعريف الحضارة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي.

المطلب الثالث : مراحل الحضارة مرحلة الروح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة

المبحث الثاني : عناصر الحضارة عند مالك بن نبي

المطب الأول : الإنسان

المطلب الثاني :الوقت

المطلب الثالث : التراب

المبحث الثالث :موقف ابن نبي من الحضارة الغربية المعاصرة والاستعمار و الاستشراف
المطلب الأول: موقفه من الحضارة الغربية
المطلب الثاني : موقفـــــــه من الاستعـــــمار .
المطلب الثالث : مـــــوقفـــــه من الاستشراف
الفصل الثالث :التجديد الحضاري عند مالك بن نبي
المبحث الأول : التجديد الحضاري مدلوله وأبعاده في فكر مالك بن نبي
المطلب الأول : مدلول التجديد الحضاري
المطلب الثاني : شروط التجديد الحضاري
المطلب الثالث : أبعاد التجديد الحضاري
المبحث الثاني : معالم مدرسة التجديد عند مالك بن نبي
المطلب الأول :النـــزعة التقويمية للحضارة الغربية
المطلب الثاني - النـــزعة العدوانية
المطلب الثالث :النـــزعة العلمية
المبحث الثالث :الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي قي العالم الإسلامي المعاصر
المطلب الأول : الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي
المطلب الثاني : مكانة مالك بن نبي في الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي المعاصر
المطلب الثالث : موقف مالك بن نبي من حركة الإصلاح الحديثة
المطلب الرابع : إستراتيجية البناء الحضاري واستمرار الأمة
خاتمة

المصادر والمراجع

رغم أن البحث يتعلق بشخصية مالك بن نبي ، فإن مصادره ومراجعه متنوعة منها القرآن الكريم وكتب الحديث وبعض كتب التراث، لكن المعتمد أساسا هو مؤلفات مالك بن نبي المختلفة التي يتصل بهاا موضوع البحث بصورة مباشرة .وبالإضافة إلى ذلك اعتمدت على مختلف كتب المعاجم بأنواعها اللغوية والفلسفية لبيان معاني بعض المصطلحات الواردة ودلالاتها وقد استعنت بكتب التراجم والسير للتعريف بالشخصيات والترجمة لها بقدر ما يقتضيه البحث، سواء المتعلقة بالشخصيات المرتبطة بصورة مباشرة بمالك بن نبي وكان لها تأثير عليه، أو تلك يحتاج البحث العلمي الترجمة لها لكونها قد ورد ذكرها في ثناياه.

واقتضى البحث أن تكون له مراجع أخرى ذات أبعاد فكرية ومعرفية متباينة، وذلك من أجل شرح بعض الآراء والأفكار أو تأييدها وتوضيحها، كما هو الشأن مع كتب كثيرة لمفكرين لهم نفس المشرب ونفس التوجه.

كما كان للبحث استعانة بالدوريات المختلفة والمقالات المتعددة ذات الصلة بمواضيع شتى مرتبطة بالفكر والثقافة بصورة عامة .

معوقات البحث

لا ريب في أن البحث اعترضته بعض العوائق منها ما هو ذاتي مرتبط أساسا بالمسؤوليات الوظيفية والحياتية العامة التي لا تترك المجال واسعا للبحث ولا تعطي الفرص اللازمة له،فيصعب التفرغ ومن ثم المزاولة له بانتظام.وهناك عوائق موضوعية مرتبطة بطبيعة البحث في الموضوع ذاته، من خلال تشعبه وامتداده بحيث تصعب معه السيطرة عليه.

ويجدر بي في الأخير أن أشكر الله عز وجل على توفيقه وإعانته في إكمال هذا البحث الذي أرجو أن يتحقق معه النفع للفكر الإسلامي وللدعوة الإسلامية، وأن يكون لبنة من اللبنات التي تسهم في إماطة اللثام عن شخصية مالك بن نبي ، وأدعو المولى تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم،وأن يكون لي ذخرا عند لقائه.

الفصل الأول

الفصل الأول : عصر وحياة مالك بن نبي

المبحث الأول : حياة مالك بن نبي

المطلب الأول: اسمه ومولده

"مالك بن عمر بن خضير بن مصطفى بن نبي " ولقد اشتهر باسم "مالك بن نبي" وكان يلقب بالصِدّيق.

ولد مالك بن نبي عام 1905 في مدينة قسنطينة بالجزائر وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينتي قسنطينة وتبسة[1] .

وهو الابن الوحيد في أسرته الفقيرة ، بالإضافة إلى ثلاث بنات ماتت إحداهن وهو صغير.

هاجر مع أهله إلى تبسة بسبب الاحتلال الفرنسي عام 1908, ولأن أباه كان شديد الفقر, تبناه عمه الأكبر ليعيش معه في قسنطينة, "فقد كان والدي ردحا من الزمن في تبسة دون مورد يعيش منه ودون عمل"(2). بينما أمه السيدة زهيرة ربة بيت تعمل في الحياكة . [3]."وبعد موت عمه أعادته زوجة عمه إلى أهله في تبسة.

وقد استبشر خيراً من مولده في ذلك الوقت ، حيث كتب يقول في مذكراته عن مولده: " إن من ولد بالجزائر عام 1905م، يكون قد أتى في فترة ،يتصل فيها وعيه بالماضي ممثلاً في أواخر شهوده ، وبالمستقبل في أوائل صانعيه ، وعلى هذا كان لي ،حين ولدت تلك السنة الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد،على تلك الحقبة من الزمان "[4].

---

[1] بركات محمد مراد . مالك بن نبي فيلسوف الحضارة شاهد القرن . العدد الرابع 2003ص5

[2])مالك بن نبّى. مذكرات شاهد القرن: بيروت ، دار الفكر، عام 1969م. ص18

[3] محمد بن المختار الشنقيطي .خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين قطر 2010.ص13

[4] مالك بن نبّى. مذكرات شاهد القرن الطالب : بيروت ، دار الفكر، عام 1969م. ص38

المطلب الثاني: نشأته

لقد نشأ مالك في أسرة متدينة، لها إطلاع على مجريات الأحداث ، متأثرة بالواقع الأليم الذي أصاب الجزائر ، فقد حدثته جدته **"الحاجة زوليخة** عن هجرة أمها مع والدها إلى تونس، يوم دخول المستعمرين الفرنسيين، وذلك خوفاً على الأعراض التي كانت تنتهكها الجيوش الفرنسية الغازية[1].

وحدثته كيف هاجر جدّه لأمه من الجزائر إلى طرابلس الغرب، ضمن تلك المدن الجزائرية الكبيرة مثل قسنطينة، وتلمسان والتي كانت حوالي عام 1908م وذلك للتعبير عن رفض المساكنة مع المستعمر.

كانت قصص جدته هي المدرسة الأولى، التي تعرّف منها مالك على جرائم الاستعمار كما تعلم منها القيم والأخلاق الإسلامية، يقول: " تعلمت من جدتي أن الصدقة والعطف على الفقراء من أهم الأخلاق التي اعتنى بها الإسلام، وقد أثرت فيه أحاديث جدته حيث قام بتحويلها إلى سلوك عملي وهو في سن السادسة من عمره، حيث أعطى وجبته في يوم من الأيام لمتسول".

وكان هناك تأثير ديني آخر في أسرته، وهو صلتها بالحركة الإصلاحية، والصوفية الموجودة آنذاك، ومن ثم أرادت الأسرة منه أن يتربى تربية دينية ، فأرسلت به إلى الكتّاب مع فقر الأسرة.

وكان للعائلة تأثر بالصوفية، حيث أثّر في مالك عمه محمود الذي كان من أصحاب الزاوية العيسوية، وكان عمه يأخذه معه أحيانا إلى هذه الزاوية، وبذلك يتضح تكوين ذلك الطفل الديني منذ بداية حياته، وتنشئته تنشئة إسلامية دينيه.[2]

دخل **مدرسة القرآن** وأيضا دخل **المدرسة الفرنسية**, ولشدة الفقر قامت والدته برهن سريرها الخشبي لتحصل على النقود اللازمة لدراسته .

لقد كان هناك بون شاسع بين المدرستين والمعلمين فيهما, هذا ما جعله لا يطيق هدا الوضع المتناقض, بل ويخفق وينقطع عن مدرسة القرآن التي قضى بها أربع سنوات, "وحتى ذلك الوقت لم أكن قد تجاوزت في قراءتي للقرآن سورة (**سبح**)"

---

[1] **مذكرات شاهد القرن:** ، مرجع سابق ص10

[2] المرجع نفسه . ص10

وفي هده الفترة حدث "حدثا مهما جاء يغير مجرى حياتي" (1), ألا وهو مرافقة أبيه إلى قسنطينة وكان يتمنى العودة إليها منذ أمد بعيد .

وهناك تعرف إلى جده لأبيه (**بابا الخضير**), وقد كان من مؤيدي (الشيخ **بن مهانة**) أحد رواد رجال الإصلاح الجزائري آنذاك.

و لم تتقدم دراسته في قسنطينة بسبب كثرة الدلال الذي حظي به من امرأة عمه (**بهيجة**), فأعيد إلى تبسة مرة أخرى, ولكن من تلك الإقامة بدأت الأمور تتصنف في تفكيره وذاته, حيث عايش الفرق بين المدينتين, فقال عن ذلك : "ففي تبسة كنت أرى الأمور من زاوية الطبيعة والبساطة, أما في قسنطينة فقد أخذت أرى الأشياء من زاوية المجتمع والحضارة واضعا في هذه الكلمات محتوى عربيا و أوروبيا في آن واحد"(2).

وعاد إلى المدرسة **الفرنسية** في تبسة, وفي تلك الفترة كانت الحرب العالمية الأولى (1914م), ولكن لم تكن لها وقع كبير على نفسه لأنه كان ما يزال صغيرا, "وعلى كل فاني اعتقد أن جميع الشعوب كانت في ذلك الوقت طفلة مثلي"(3) .

حصل على **الشهادة الابتدائية** في تبسة بتقدير جيد, رغم أنه كان أول الطلاب المجتهدين, لكن مدير المدرسة الفرنسي "كان يسلم دفتر العلامات لطفل فرنسي " الذي حصل على درجة جيد جدا.

ثم انتقل إلى قسنطينة ليكمل دراسته في مدرسة (**سيدي الجيلي**) عام 1920م بعد أن نجح في "امتحان المنح، ذلك الذي كان ذا دلالة لطفل من (الأهالي) ما كان في وسع أبويه أن يرسلاه إلى **المدرسة الثانوية**".

وقد تتلمذ في تلك المدرسة على يد:

- أساتذة عرب أمثال : الشيخ (**عبد المجيد**), والشيخ (**بن العابد**), والشيخ (مولود **بن موهوب**) وكان مفتي في المدينة وقد تأثر بن نبي به كثيرا وبحسه الوطني.
- أساتذة فرنسيين أمثال: (**مسيو مارتان**), و (**بوبريتي**).

---

(1)مذكرات شاهد للقرن ص 30

(2),المرجع نفسه. صفحة 36

(3)المرجع نفسه, ص29

وبعد أربع سنوات من الدراسة تخرج من المدرسة الثانوية في حزيران عام 1925م, "هذه المدرسة التي كنت أعدها سجناً نتعلم فيه تحرير واقعة زواج أو طلاق... ها هي ذي تطلق سراحي" .

بعدها قرر هو وصديق له السفر الى فرنسا للعمل فيها, ولكن لم يوفق فرجع إلى الجزائر عام 1927 م.

أضناه البحث عن عمل في تبسة وأخيرا عمل كمساعد في محكمة, ثم عين في محكمة (آفلو) في الجنوب الوهراني كان ذلك في مارس 1927م.

و خلال عطلته سنة 1928م تعرف إلى الشيخ (**عبد الحميد بن باديس**) لأول مرة فقد كان يقرأ له جريدة الشهاب و يتأثر بحسه الوطني.

تقدم إلى وظيفة عدل في (**شاتودان**) وقبل فيها, فترك وظيفته في (**أفلو**) ليعمل في (**شاتودان**) كعدل, وكانت هذه المدينة مركزا كبيرا للمستعمرين, وقد كانت وسطا ملوثا فاسدا, فلم يعجبه الوضع هناك وسرعان ما قدم استقالته.

ثم عاد إلى تبسة, وفي عام 1929م دخل مع زوج أخته في مشروع فشاركه في (مطحنة), وقد كان ذلك العام عام كساد التجارة العالمية فالأسعار تدهورت وانتهي المشروع بالفشل.

نصحه والده بالسفر إلى باريس لدراسة الحقوق, وسافر إلى فرنسا عام 1930م, "فكانت الرحلة هنا علمية جادة، طمح فيها (ابن نبي) للدراسة بمعهد الدراسات الشرقية في باريس أملاً في التخرج محامياً"(1) ولكن مدير المعهد رفض لذا التحق بمدرسة (اللاسلكي), كمساعد مهندس في البداية والسبب هو في قوله: "شعرت أن إمكانياتي متواضعة لأنني تركت الرياضيات منذ سنتي الأولى بمدرسة قسنطينة ... فقررت إذن أن أنتسب إلى درجة مساعد مهندس"(2).

و لم تكن الجزائر بعيدة عن ذاكرته إذ كان الرابط الروحي بينه وبين الوطن قويا, حيث كان يجهر بمواقفه ضد الاستعمار ويحاربه في عقر داره(3).

---

(1) عمر بن قينة , أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة و الأدب, ص 12

(2) مذكرات شاهد للقرن, ص 218

(3) مرجع نفسه, ص 226

وفي عام 1931 تزوج من فرنسية أسلمت وسمت نفسها **خديجة**, وكانت تساعده كثيرا في غربته وتهون عليه.

وفي عام 1932 م عاد إلى الجزائر ليجد موجة الإصلاح تشمل كل أرجاءها، وبعد عودته إلى باريس زار والدة زوجته في " **دروكس** " وهناك تعرف على الريف بفرنسا، وكان يزور الجزائر كل عام في الإجازة الصيفية.

ثم عاد إلى تبسة مرة أخرى ليعيش هناك هو وزوجه, وبعد أن ضاقت بهم الحياة ودخل العالم في الحرب العالمية الثانية, قرر العودة إلى فرنسا هو وزوجه في 22 سبتمبر 1939م.

ثم توجه إلى القاهرة (سنة 1956) بعد إعلان الثورة المسلحة في الجزائر, وأقام بالقاهرة لاجئا سياسيا سبع سنين, وتعلم اللغة العربية وأتقنها, وهناك تفرغ للعمل الفكري والإصلاحي.

وبقي يتنقل بين فرنسا والجزائر إلى أن استقر في مصر عام 1956م، ولم يرجع بعدها إلى فرنسا، وافترق عن زوجه خديجة إلا أنه ظلّ وفياً لها، وفي أواخر الخمسينات تزوج ثانية من قريبة له، يقول فوزي الحسن " ومن زواجه من الثانية أنجب عام 1961م توأم بنات سمّاهما: إيمان ونعمت " [1]

بعد استقلال الجزائر عاد إليها عام 1963م , وعين مديراً للتعليم العالي في (جامعة الجزائر) المركزية، حتى استقال سنة (1967م) متفرغاً للكتابة والإصلاح, وإلقاء المحاضرات, وإقامة الندوات,

و ظل مالك بن نبي يناضل بفكره وينير للأمة طريقها إلى أن توفي بمدينة الجزائر في 31 من تشرين الأول لعام 1973م.

---

[1] **أسعد السحمراني مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً:** ، مطبعة دار النفائس ط2، 1986م.ص18

المطلب الثالث:طلبه للعلم

لقد كان والد مالك متعلماً، حيث درس في المدارس الحكومية التي كانت موجودة آنذاك، وكان على اتصال بالحركة الثقافية، ويمتلك مكتبة خاصة به يقتني فيها كتباً قيمة عربية وفرنسية، وكان والده يطالع صحيفة الإقدام وصحيفة الراية، وكان مالك يطّلع علي مكتبة والده مما كان له أكبر الأثر في تكوين شخصيته فيما بعد. [1]

ولقد كان هدف والديه أن يتعلم ليكون كاتب عدل وفيها تعلم النحو والصرف على يد الشيخ عبد المجيد، وكان الشيخ المولود بن الموهوب يعلمه علم الكلام وسيرة الرسول ص ودرّسه بعض المدرسين الفرنسيين، فمارتن علمه فن التعبير والمطالعة، وبوبرته علّمه التاريخ والأدب الفرنسي، وبذلك جمع بين ثقافتين مختلفتين وطالع الكتب الأدبية وقرأ للأدباء والشعراء القدامى والمحدثين العرب منهم والفرنسيين، وبذلك تشكلت عقليته الأدبية من خلال تلك المطالعات.

وكانت المقاهي تلعب دوراً رئيساً ــ في ذلك الوقت ــ في الحياة الثقافية الجزائرية حيث كانت ملتقى للأدباء والمفكرين ، ففي المدرسة التي كان يدرس فيها مالك بن نبي كانت قهوة تسمى قهوة أبي عربيط يقول عنها: " إنها كانت تقدم لي فرصاً كثيرة في أحاديث عن الأدب العربي " وكانت هناك قهوة خارج المدرسة تسمى قهوة ابن يمينة لعبت دوراً في تكوينه الفكري يقول: " كنت أعي في قهوة ابن يمينه آثار التمزق الفكري والعقائدي حيث كان فيها مناقشات وأحاديث حادّة ومثيرة ، كان يغذيها التيار المدرسي ــ ذو الثقافة الفرنسية التي تعطى في المدارس الحكومية ــ والتيار الباديسي

وكان مالك على اتصال بالصحف الإسلامية وغيرها التي كانت تنشرها الأحزاب السياسية آنذاك ومنها: "الإنسانية" ،" والنضال الاجتماعي "، "والعصر الجديد " "والجمهوري" "والإقدام " "وأم القرى "، "وصدى الصحراء " " والشهاب "، "والشئون العامّة" "الأمّة "

وكان مالك كثير المطالعة، يستعير الكتب من المكتبات الموجودة في مدينته، ومنها: مكتبة تسمى مكتبة النجاح، ومكتبة المدرسة، ومما قرأه وكان له تأثير في تكوينه الثقافي كتاب "الفشل الأخلاقي للسياسة الغربية في الشرق " لمحمد رشيد رضا ،" ورسالة التوحيد " لمحمد عبده ،"وأمّ

---

[1] مذكرات شاهد القرن مرجع سابق : ص140 .

القرى " لعبد الرحمن الكواكبي ، وكتاب "الإسلام بين الحوت والدب "لأوجين يوغ" و" في ظلال الإسلام الدافئة، لإيزابيل ابرهارت ، ومقدمة ابن خلدون "وكيف تفكر " لجون ديوي ،"والهند الفتاة "لرومان رولان ، "وتاريخ الإنسانية الاجتماعي "لكورتلمون ،وكتاب نيتشه ،"هكذا تكلم زرادشت "ولغيرهم من الكتّاب والأدباء والمفكرين والفلاسفة.

وبعد إنهاء دراسته الثانوية ، توجه مالك بن نبي إلى فرنسا أكثر من مرّة بغرض الدراسة فيها ، وفي عام 1930م سافر مرّة أخرى كي يدرس الحقوق في معهد الدراسات الشرقية ولكنه لم يوفق في دخول هذا المعهد ، وهناك تعرف على جمعية اسمها " الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين" فانتسب اليها وكان هو المسلم الوحيد فيها ، حيث تعرَّف على الوجه الثقافي وبعدها تعرَّف على الوجه التكنولوجي للحضارة الغربية من خلال متحف الفنون والصناعات حيث درس الكيمياء التطبيقية فيه[1]

وحينئذ بدأ مالك بن نبي بإلقاء المحاضرات، وأول محاضرة ألقاها مالك في فرنسا كانت في شهر ديسمبر عام 1930 م بعنوان " لماذا نحن مسلمون "، وقد أدخل فيها مفاهيم فلسفية، متاثراً من دراسته في الكتب الفلسفية، حيث أثارت عبارته " الروح تصنع المادة " في المحاضرة، انتباه الجالسين بحيث أظهرت اتجاهه المثالي في الفلسفة المعارض للاتجاه المادي، ولقد أرسل إليه المستشرق ماسنيون لكي يراه فلم يذهب لملاقاته، ومن يومها أطلق على مالك " زعيم الوحدة المغربية ".

ويقول المحامي عمر مسقاوي المسئول عن ندوة مالك بن نبِي " وفي بداية السبعينات أحسّ كأنما أوشكت مسيرته على طريق الرسالة تبلغ الأجل الذي أجّله الله لها، فمرّ ببيروت عام 1971م ثم بطرابلس لبنان وأودعني رحمه الله وصية، سجلها في 16 ربيع الثاني عام 1391هـ الموافق 10 حزيران 1971م في المحكمة الشرعية في طرابلس حملني فيها مسئولية الحفاظ على أفكاره والإذن بنشر كتبه... كما عاد في العام التالي عام 1972م فمرّ بدمشق، وهو قافل من رحلة الحج الأخيرة، ليقف على منبرها الفكري ويلقي وصيته الأخيرة في رحاب مسجد المرابط، وألقى محاضرة بعنوان " دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين".[2]

---

[1] مذكرات شاهد القرن مرجع سابق : ص140 .

[2] مالك بن نبّى. دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين: ط2 ، ط عام 1977مص8 .

المبحث الثاني : شخصيته والعوامل المؤثرة في ثقافته

المطلب الأول : شخصيته

في مالك بن نبي شخصية عاطفية، خيالية أحياناً، يفكر بأحلام الفلاسفة ويهيم بالتجريد . يقول عن نفسه :(أنا شديد التأثر بالحدث، وأتلقى صدمته بكل مجامعي وبانفعالية تستطيع أن تنتزع مني دموع الحزن حين يثير الحدث الحبور من حيث المبدأ)، وقد بكى عندما اندحر الجيش الفرنسي أمام ألمانيا عام (1940م) مع أنه يكره الاستعمار الفرنسي، ويعلق هو على هذا التصرف: (رأيت في ذاتي عنصراً آخر كشف كل التعقيد في ضمير مسلم) ولم يوضح ما هو هذا العنصر الآخر ولكن يبدو لي أنه عدم التوازن بين القيم الأخلاقية وأيها يصلح لتطبيقه على الحدث، وعندما سمع حديث والدته وذكرياتها عن الحج لم يستطع حبس دموعه فكان يتظاهر بالعطش ليخرج إلى الشرفة فيطلق العنان للدمع.

هذه العاطفة أنتجت له شخصية حالمة أحياناً، فعندما يسمع ويقرأ عن شاعر مثل (طاغور) تتفتح أمامه الأحلام عن الشرق وأن الإنقاذ ربما يأتي من روحانية الهند كما يسميها، وعندما يسمع بأنباء الخلاف بين الملك عبد العزيز آل سعود وإمام اليمن يكتب رسالة إلى سفارة اليابان يدعو حكومتها للتدخل باسم التضامن الآسيوي لمساعدة ابن سعود حتى لا تتمزق الجزيرة العربية، وطبعاً لم يستجب (الميكادو) لطلبه!

وفي الجانب الآخر نجد شخصية مالك الناقد المحلل الذي يمتلك القدرة الفائقة على النفاذ لأعماق المشكلة وبيان أسبابها، من خلال النظرة العلمية الصارمة، ومن خلال اطلاع واسع على الثقافة الغربية وكيف تنشأ الحضارات مع معرفة بواقع المجتمعات الإسلامية من خلال معرفته الشخصية بالمجتمع الجزائري، وهو في مقارناته وتحليلاته يشبه سلفه المغربي المؤرخ ابن خلدون، حيث تلتقط الذاكرة كل جزئية وكل حادثة ثم يبدأ التحليل والمقارنة ثم يخرج بالنتائج التي يرتضيها.هذان الخطان استمرا في حياة ابن نبي، فالعاطفة التي تجمح إلى الخيال أحياناً جعلته يعقد في الخمسينات آمالاً كباراً على «مؤتمر باندونغ» وظن أنه سيحل مشكلة العالم الثالث، ومن رفات (غاندي) سينطلق يوماً انتصار اللاعنف ونشيد السلم العالمي[1].

---

[1] مالك بن نبّي. في مهب المعركة : دمشق ، دار الفكر،ط عام 1981م .ص 87 .

المطلب الثاني : العوامل المؤثرة في ثقافته

لقد كانت حياة بن نبي في تلك الحقبة حافلة بالمؤثرات والمواقف التي أثرت في تكوينه و فكره, فقال: "هكذا إذن فقد استفدت بامتياز لا غنى عنه لشاهد, حينما ولدت في تلك الفترة"(1). أهم تلك المؤثرات (حسب تسلسلها الزمني):

1- **تأثر بقصص وحكايات جدته لأمه الحاجة (زوليخة)**, التي كانت تقصها عليه في طفولته, وعن معاناتهم القاسية وهجرتهم بسبب الفرنسيين, وكيف تركت أمها الحاجة **(بايا)** وعائلتها مدينة قسنطينة حين دخلها الفرنسيون, فكانت جدته هي مدرسته الأولى. "كانت هي مدرستي الأولى فيها تكونت مداركي", وأيضاً قصصها عن العمل الصالح وما يتبعه من ثواب, وعمل السوء وما يجره على المسيء من عقاب, كانت تعمل على تكوينه وتنشئته نشأة إسلامية سليمة كما قال: "كانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري"(2).

2- **تأثر بأساتذته في المدرسة الثانوية** و منهم :

- الشيخ (**عبد المجيد**) و (**مسيو مارتان**) وقد قال عنهما : "هذا الشيخ من ناحية, ومسيو مارتان من ناحية أخرى, كونا في عقلي خطين حددا فيما بعد ميولي الفكرية"(3).
- أستاذه الشيخ **مولود بن موهوب** وقد كان سببا في تأثره بالحركة الإصلاحية في الجزائر, "وقد تولى الشيخ (**مولود بن موهوب**) جذب أفكارنا وعقولنا إلى خط تلك الحركة التقليدية القديمة, و لكنها وجدت في أرواحنا عناصر جديدة أضيفت إلى بنائها", وكانت دروس الشيخ (بن موهوب) في التوحيد و السيرة, ودروس الشيخ (بن العابد) في الفقه هي التي توجهه الاتجاه العقائدي الصحيح.

3- الوجود الاستعماري في الجزائر: حيث كانت الآثار الاستعمارية في تلك الفترة تظهر يوما بعد يوم, فالجالية الأوربية في تزايد, وملابس الناس وزينتهم كانت على الطراز الأوروبي,

---

(1), **مذكرات شاهد للقرن**, ص 15

(2) المرجع نفسه, ص 18

(3)المرجع نفسه, ص4

"هذه كلها مظاهر تطبع في النفس الوجود الاستعماري.

4- تأثر كثيرا بصديقه (**حمودة بن الساعي**) بباريس الذي كان سببا في زيادة اهتماماته بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ أكثر من اهتمامه باللاسلكي , حيث قال في شهادته: " أدين لحمودة بن الساعي باتجاهي كاتبا متخصصا في شؤون العالم الإسلامي"

5- **الفقر** :ومن المؤثرات الواضحة في شخصيته ما عاناه من الفقر الشديد في طفولته، وحياة النَّصَب والتعب التي عاشها في شبابه بحثاً عن العمل، سواء في الجزائر أو فرنسا، فقد عمل بعد تخرجه من الثانوية في مصنع للأسمنت في مدينة (ليون) بفرنسا، فكان يحمل الأكياس على ظهره، ومرة باع بعض ملابسه حتى يوفر وجبة غداء، وبعد تخرجه من الهندسة طرق أبواب العمل في الدول العربية والإسلامية ولكن دون جدوى.

هذه الأوضاع النفسية جعلته يكره - وهو صغير - الدور المترفة التي كانت تفضح أمام ناظريه بؤس أقاربه، وأحكامه المسبقة كانت بسبب العيش في عائلة فقيرة زرعت لاشعورياً في نفسه من الغيرة والحسد حيال العائلات الكبيرة ، وكان يعجبه مطالعة صحيفة (الإقدام) التي يصدرها الأمير خالد الجزائري والتي كانت تركز على موضوع الفلاح الجزائري وبؤسه.

6- **القراءات الغزيرة المتنوعة**، فقد بدأ بالقراءة منذ أن كان صغيراً في الابتدائية، وقرأ كتب علم النفس والاجتماع وهو لا يزال في المرحلة الثانوية، وكان يقرأ كل الصحف التي تصل إلى قسنطينة أو تبسة، ولا شك أن هذا الاطلاع الواسع على الثقافة الغربية هو في جانب منه على حساب الثقافة الإسلامية وكان له أثر عليه أيضاً، فكثرة قراءاته لأعمال الفلاسفة جعلته يعتبر عصر الفارابي عند المسلمين هو عصر خلق الأفكار مع أن الفارابي وأمثاله لم يقدموا شيئاً يذكر للحضارة الإسلامية، وكانت نغمة (الإنسانية) و (العالمية) سائدة عند الفلاسفة الغربيين، ونجد مالك يكررها فيتكلم عن حضارة اليوم التي تسير نحو الشمول والعالمية [1] ويستعمل أحياناً عباراتهم التي هي نتيجة انفصام عندهم بين الدين والعلم مثل قوله: (إن الطبيعة توجد النوع ...) [2] أو وهبته الطبيعة.

---

[1] **في مهب المعركة** .مرجع سابق ص ، 33 .

[2] **مالك بن نبّي. ميلاد مجتمع** : ترجمة عبدالصبور شاهين ، دار الفكر دمشق ، عام 1974م ص16

المطلب الثالث: وفاته

عانى مالك بن نبي في أواخر حياته إرهاقا كبيرا و لم يسلم من المضايقات، فقد صرح المرحوم بغدادي بلقاسم بأنه كان شاهداً رئيسيا على محاولات اغتيال مالك بن نبي من خلال إتباع طرق علمية مدروسة في الفترة بين 1957 و 1962 و من هده المحاولات ما حدث لمالك بن نبي سنة 1960 و قال :"إن عملاء الإستعمار كانوا وراء محاولات اغتياله حينما كان منهمكا في تنظيم لقاءاته العلمية و الفكري و بعد مرض أصابه بآلام في عينه و صداع في رأسه تحول إلى سلطان ورغم علاجه خارج البلاد بقي متأثرا بهده الحادثة.

فتوفاه الأجل عليه رحمة الله يوم الأربعاء 4 شوال 1393هـ الموافق لـ 31 أكتوبر 1973 بمنزله و تبعة عدد غفير من المسلمين إلى المقبرة **سيدي محمد.**

كتب عنه الأستاذ **رشيد بن عيسى** كلمات تأبينية نشرت في العدد العاشر من المجلة يقول فيها: كان لمالك بن نبي إيمان الغزالي، و الإتساع الثقافي لإبن خلدون و التوتر البروميتي لجمال الدين الأفغاني، و عزم حسن البنا، ينتمي مالك إلى سلسلة المفكرين و المجددين مثل رشيد رضا و محمد إقبال و إبن باديس

وقد نعاه الأستاذ أنور الجندي بقوله: " لبّى نداء ربه العلامة الجليل، مالك بن نبي، في أوائل شهر شوّال 1393هـ(نوفمبر 1973)عن عمر لم يتجاوز الستين إلا قليلا ،بعد أن ترك ثروة وافرة من الفكر المتجدد ،الذي نشره باللغة الفرنسية ،ثم ترجم إلى اللغة العربية ،وقد أتيح له في السنوات الأخيرة ،أن يكتب بلغة الضاد ،وأن يلقي فيها أبحاثه في مؤتمرات القاهرة ،ومكة وطرابلس الغرب والجزائر".

المبحث الثالث : أعماله ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه.

المطلب الأول : أعماله

بعد تخرجه من المدرسة الثانوية التي تؤهله للعمل ،عمل كاتب عدل في المحكمة الشرعية في منطقة آفلو" ثم انتقل بعدها إلى محكمة" شلغوم العيد"، وكان اسمها يومها " شاتودان " ولم يعجبه تسلط كاتب محكمة الصلح آنذاك فقدم استقالته ثم أصبح شريكاً في مطحنة مع صهره ولم تنجح المطحنة،وبعدها قرر السفر إلى فرنسا، وفي فرنسا انخرط في الأحزاب السياسية.

واشتغل بن نبي مدرسا في مركز ثقافي للمهاجرين بمرسيليا (1938) يهتم بمحو الأمية. وسرعان ما أغلقته السلطة الاستعمارية بذريعة عدم امتلاك بن نبي للرخصة بينما يمثل هذا القرار التعسفي معاقبة له على مواقفه السياسية وتوعيته المستمرة للمهاجرين وعدم الاكتفاء ببرنامج تعليم الحروف والكلمات لأبناء وطنه المتعطشين لدراسة كل ما له علاقة بتاريخهم وهويتهم وتحرير نفوسهم وتبصير عقولهم [1].

ثم انتقل إلى مصر" وفي القاهرة اتصل بالرئيس جمال عبد الناصر، وخصصت له الحكومة مرتباً شهرياً، مما ساعده على التفرغ للعمل الفكري"وقد عيَّنه أنور السادات الأمين العام للمؤتمر الإسلامي آنذاك مستشاراً له، ثم انتقل إلى الجزائر عام 1963م، وعيّن مستشاراً للتعليم العالي، ثم مديراً لجامعة الجزائر، ثم مدير التعليم العالي،[8] ولكنه استقال من منصبه عام 1967م، ليتفرغ للعمل الفكري والإصلاح [2].

[1] **مولود عويمر محاضرة قدمها الكاتب في ملتقى "الفكرة عند مالك بن نبي"** الذي نظمه مركز الرؤية للدراسات الحضارية يومي 25 و26 أكتوبر 2013.

[2] **مالك بن نبي. ومشكلات الحضارة:** زكي ميلاد ، دار الفكر ،ط1 ، 1998م.ص50

المطلب الثاني: مؤلفاته

كان إنتاج مالك بن نبي وثروته الفكرية غزيرة, فبعض منها كانت كمؤلفات و كتب وأخرى محاضرات جمعت في كتب, و مقالات صحفية كثيرة.

معظم ما كتب كان باللغة الفرنسية, بعض منها ترجم إلى اللغة العربية بواسطة طلابه, وبعضها لم تطبع أصولها الفرنسية.

وكان من أبرز من ترجموا له هم: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي.

- **الظاهرة القرآنية:** وقد كتبه باللغة الفرنسية، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين ونشرته دار القرآن الكريم، تحت رعاية الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية السالمية، الكويت، عام 1398هـ ـ 1978م، وهو من القطع الصغير، وعدد صفحاته 363صفحة.

وفيه يدرس مالك مفهوم النبوة، وأصول الإسلام، والرسول، وظاهرة الوحي وقضايا تتعلق بالقرآن.[1]

- **شروط النهضة :** نشر بدار الفكر، ط عام 1960م، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 159 صفحة.

يبين فيه مالك، أهم شروط تركيب الحضارة، ويركّز فيه على الدور الذي تلعبه الفكرة الدينية، كمركب من عناصر التاريخ، وكحقيقة يؤيدها تاريخ الحضارات.[2]

ميلاد مجتمع: وقد قام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين، نشر دار الفكر ط عام 1962م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 107 صفحة.

وهذه الدراسة تشمل منهجية المفاهيم النظرية، التي ترجع إليها العناصر التاريخية الخاصّة "بميلاد مجتمع " ويرى مالك أننا نريد أن نعطي للقارئ المسلم فرصة التأمل في هذه المرحلة من تاريخ المجتمع، حين يولد، أو حين ينهض، وذلك عن طريق تمسكه بالمبادئ التي شيدت البناء الحضاري الإسلامي

---

[1] **مالك بن نبي مقدمة كتاب :** ، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر، دمشق (1981)

[2]: شروط النهضة : مالك بن نبي ، ط دار الفكر .

- **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:** وقام بترجمته" محمد عبد العظيم علـــيّ " نشـــر دار الدعوة، ط عام 1970م، وهو من القطع المتوسط، وعدد صفحاته 71 صفحة وطبعة أخرى، ترجمة د. بسام بركة، ود. أحمد شعبو. ط دار الفكر ط الأولى، عـــام 1988م عدد صفحاته 182 صفحة.ويرى مالك أنه لا يقدم في هذا الكتاب لمشكلة الفكـــر في العالم الإسلامي، بل على العكس، في هذا الكتاب يحاول إلقاء الضـــوء علـــى معالمهـــا وتركيبها الخاص، ولم يتناول فيه مشكلة الفكر في العالم الإسلامي..[1]
- **مشكلة الثقافة:** يتحدث فيه عن مفهوم الثقافة، وعلاقتها بعلم الاجتماع وتوجيه الثقافة[2].
- **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث:** يرى مالك أن علينا أن نســـتعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الفكر، حتى نحقق بـــذلك اســـتقلالنا الاقتصـــادي والسياسي.
- **آفاق جزائرية:** وهو مكوّن من ثلاث محاضرات، يجمع بينها أنها ألقيت جميعها في الجزائر، وهذه المحاضرات هي: مشكلة الحضارة، ومشكلة الثقافة، مشكلة المفهومية.[3]
- **المسلم في عالم الاقتصاد:** يرى مالك أن المختصين بالاقتصاد يوجهون العتاب أو اللوم إلى الفقهاء، ويرمونهم أحياناً بالجمود، ويجب أن نتره فقهاءنا عن هذا العقاب، ونقول: إنـــه ليس من اختصاصهم أن يدلّوا على الحلول الاقتصادية سواء مستنبطة من القرآن والسنة، أو غير ذلك، وإنما اختصاصهم أن يقولوا في شأن الحلول التي يراها أهل الاختصاص هل هي تطابق أو لا تطابق الشريعة الإسلامية.[4]
- **بين الرشاد والتيه:** وهو كتاب ضم مقالات كتبها الأستاذ مالك، ونشـــر معظمهـــا في جريدة الثورة الأفريقية إثر عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال في الستينات، وقـــد جمعهـــا مالك في صيف 1972م وترجمها إلى العربية، وهذه المقالات تعكس أحداث الستينات

---

[1] مالك بن نبي مقدمة كتاب : **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ترجمة محمد عبد العظيم علي، (القاهرة: مكتبة عمار،

[2] مالك بن نبي مقدمة كتاب : **مشكلة الثقافة**، دمشق، دار الفكر، سنة 1399هـ- 1979م

1- مالك بن نبي مقدمة كتاب : **آفاق جزائرية: للحضارة، للثقافة، للمفهومية**، ترجمة الطيب الشريف، (الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1964).

[4]: مالك بن نبي مقدمة كتاب **المسلم في عالم الاقتصاد**: بيروت: دار الشروق، 1972 ، ط دار الفكر .

في العالم العربي والإسلامي وهي تطرح مشاكل العالم الثالث بعد الاستقلال فسلّط عليها أضواء كاشفة تبرز أبعادها وتنير طريق الكفاح من أجل القضاء عليها.[1]

- **وجهة العالم الإسلامي:** يؤكد الأستاذ محمد المبارك في مقدمته للكتاب، أن مالكا يبحث المشكلات المشتركة للعالم الإسلامي بمجموعه، فيستعرض تاريخها منذ ظهور الإسلام والمراحل التي مرت بها ثم يقف بنا طويلاً في المرحلة الحاضرة من مراحل الإنسانية، ليدلنا على هذه الرقعة من العالم التي تمتد من مراكش إلى أندونيسيا، ويؤكد مالك في صدر الكتاب أن صناعة تاريخ العالم الإسلامي لم تعد من مهمة المؤتمرات الخارجية، التي قعدت به إلى حين عن التطور والازدهار، وإنما من العمل الصامت المضني المنبعث من حركته الداخلية.[2]
- **تأملات:** تحدث عن المجتمع العربي يعالج الظواهر المرضية التي انتظمت العالم المتخلف من أقصاه إلى أقصاه، وإذا تحدث عن بناء جديد، فإنما يبرز الحاجة إلى حضارة تنقل البلاد المتخلف إلى مستوى المشاركة في مسيرة العالم، لذا سمي بتأملات، يدخل في نطاقها المجتمع العربي والإسلامي، كما يدخل العالم الإسلامي والعالم المتخلف في عمومة.[3]
- **فكرة كمنويلث إسلامي:** يرى مالك في هذا الكتاب، أن الكمنويلث الإسلامي ضرورة تاريخية، تدعو الشعوب الإسلامية إلى العودة إلى حلبة التاريخ، ولكن في صورة حضارة لا في صورة إمبراطورية ولا يكون مجرد تنظيم سياسي اقتصادي، نظراً لصورة جديدة لتوازن القوى في العالم، بل يجب أن يكون مع ذلك نظماً أخلاقياً وإشعاعاً روحياً لمواجهة الأزمة الاجتماعية، داخل العالم الإسلامي.[4]
- **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين:** يتضمن هذا الكتاب محاضرتين ألقاهما مالك، إحداهما بمدينة دمشق برابطة الحقوقيين في مايو عام 1972 م بعنوان دور المسلم، والثانية بعنوان رسالة المسلم.

---

[1] **مالك بن نبي .مقدمة كتاب بين الرشاد والتيه:** ، دمشق دار الفكر، 1978

[2] **مالك بن نبي مقدمة كتاب ، وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر، دمشق (1981).

[3] **مقدمة كتاب تأملات : مالك بن نبي:** مالك بن نبي ، ط دار الفكر .

[4] **مقدمة كتاب فكرة كمنويلث إسلامي:** مالك بن نبي ، ط دار الفكر ..

- **في مهب المعركة:** وهو مجموعة مقالات كتبها الأستاذ:"مالك " في باريس في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، وقد سمّى مجموعة المقالات هذه:" في مهب المعركة" باعتبارها إرهاصاً للثورة الجزائرية وتسويغاً لدوافعها .[1]
- **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة:** يتناول فيه بعض المواقف الشخصية للكتاب في البلاد المستعمرة، كما يتحدث فيه عن أوضاع تلك البلاد وعلاقتها بالاستعمار وأساليبه في السيطرة والغزو.[2]
- **الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج:** ويعتبر مالك أن مؤتمر باندونج كان قطعاً في نظر المختصين بالسياسة العالمية، من أهم الظواهر السياسية التي برزت في العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية.
- **مذكرات شاهد القرن:** ويتكون من جزأين: الجزء الأول بعنوان" الطفل" وقد ترجمة مروان القنواتي، والجزء الثاني بعنوان" الطالب" .

وتوجد كتب غير منشورة للأستاذ مالك بن نبي، وهي ما زالت مخطوطات بخط يده ومنها:

1- خطاب مفتوح لخروتشوف وإيزنهاور.
2- دولة مجتمع إسلامي
3- نموذج لمنهج ثوري.
4- المشكلة اليهودية.
5- العفن.
6- اليهودية أم النصرانية.
7- مجالس دمشق.ـــ مجالس تفكير[3]

---

[1] **مالك بن نبي مقدمة كتاب** : آفاق جزائرية: **للحضارة، للثقافة، للمفهومية**، ترجمة الطيب الشريف،مرجع سابق

[2]. **مالك بن نبي. مقدمة كتاب الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**: ، ط دار الفكر .

[3] **مالك بن نبي ومشكالات الحضارة** ، مرجع سابق ، ص196 .

المطلب الثالث: أقوال العلماء

شهد له كثير من مفكري عصره وأثنوا عليه منهم:

- الأستاذ الكبير **محمود محمد شاكر:** في مقدمة كتاب في مهب المعركة لمالك بن نبِّي:" لعلي لا أبالغ إذا قلت: إن هذه المجموعة من مقالات أخي الأستاذ مالك بن نبِّي، هي عندي من أنفس ما كتب؛ لأنها تكشف لنا عن فكر رجل خبير، فكّر في الأمور ساعة بعد ساعة، وقيد هذا الفكر في حينه، فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ما كتب قديماً، كأننا لم نتقدم خطوة في فهم البلاء الذي يترل بنا ولا يزال يترل... فهذا المفكر الخبير قد استطاع بحسن إدراكه وبقوة بيانه وبدقة ملاحظته، أن يفتح عيوننا على الخيوط التي تنسج منها حياتنا تحت ظلام دامس قد أطلقه المستعمر ليخفي عنا مكره بنا وخداعه لنا "[1]
- الأستاذ **محمد المبارك** في مقدمة كتاب وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبِي:" إن هذا الكتاب يكشف في مالك بن نبي عن مفكر كبير احتل بسرعة فائقة مكانه اللائق في طليعة العالم العربي الإسلامي... وهو في مجموع آثاره ليس مفكراً كبيراً صاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب، بل داعياً مؤمناً يجمع بين الفيلسوف المفكر ومنطقه، وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره... فأنا لا أقول إنه" ابن نبي" ولكني أقول أنه ينهل من نفحات النبوة وينابيع الحقيقة الخالدة "[2].
- وصفه صديقه **الدكتور عبد العزيز الخالدي** بانه" رجل شعر في حياته الخاصّة، بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقية والاجتماعية، وتكوين المؤلف كمهندس قد ساعده دون شك في التصوير الفني للأشياء ولكن ثقافته المزدوجة تسمح له بأن يصل هذا التصور بالخطة الإنسانية ".[3]
- **الدكتور مصطفى السباعي:** " الأستاذ مالك جزائري الأصل، مجاهد في سبيل القضية الجزائرية بقلمه ولسانه، جهاداً يعرف له فضله فيه زعماء حركة التحرير الجزائرية منذ نشوئها... ويتميز الأستاذ مالك بن نبي في جميع مؤلفاته بعمق التفكير ومنطقيته، وواقعيته،

---

[1] **مالك بن نبي كتاب وجهة العالم الإسلامي** ، ، وقام بترجمته عبد الصبور شاهين ، نشر دار الفكر ط عام 1954م ص11

[2] المرجع نفسه ص11

[3] ، **عبد العزيز العتيق . مفهوم الحضارة عند مالك بن** نبي بيروت 2004 ص6

وقوة أسلوبه في الدفاع عن الأفكار التي يتبناها... وقد استطاع مالك بأسلوبه الذي تفرد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية، أن يوجّه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة، وسلامة التفكير، وبدأ يرى في الأستاذ مالك بن نبِي رائده الفكري البعيد النظر القوي الإيمان المناضل بقلمه، في سبيل الله والإسلام"[1].

- **الأستاذ أنور الجندي:** " ومثل مالك بن نبي بين مفكري العالم الإسلامي قليل فهو الرجل الذي ورد مورد الغرب، وجاءنا منه نقياً صافيا، وقد حفظ الله له أصالته وأفاد مما وجد، نصاعة فكر، وبعد نظر، وعمق فهم، وقدرة على كشف تلك التحديات والشبهات والأوضاع التي عمد التغريب والغزو الثقافي على نصب شباكها، لتدمير الفكر الإسلامي وإثارة أجواء الاضطراب والتخلخل بين جوانبه".[2])
- **محمد عبد السلام الجفائري** الذي قال عنه: "يتميز مالك بن نبي باهتمامه الشديد بقضايا العالم الإسلامي، إذ أحس بمشاكله والصعوبات التي تواجهه في سبيل النهوض به من جديد، فدفعه ذلك إلى دراسة الوقائع وتقصي الأحداث التاريخية، وتحليل المشكلات بمنهج علمي وأسلوب رصين ، مبديا آراءه و تأملاته وخلاصة تجاربه ، وداعيا إلى إتباع المنهج السليم في بناء الحضارة ."[3]

---

[1] **مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً** ، مرجع سابق ، ص21

[2] **مالك بن نبي .شروط النهضة** : ، نشر دار الفكر ،ط عام 1965م ترجمة د.عبد الصبور شاهين ،ص 7

[3] **علياء بهاء الدين حسين أبو خاطر مالك بن نبي المفكر و الفيلسوف الإسلامي** بحث مقدم إلى:نقابة المهندسين ـ محافظات غزة2008 ص14

الفصل الثاني

الفصل الثاني : الحضارة عند مالك بن نبي

المبحث الأول : تعريف الحضارة ومفهومها عند مالك بن نبي

المطلب الأول : تعريف الحضارة لغة واصطلاحا

قبل التعرف على معنى الحضارة لابد من معرفة أن مفهوم الحضارة من المصطلحات والمفاهيم وليدة العصرين الحديث والمعاصر، وتعاني من إشكاليات كبيرة، لأنها انبثقت من مدارس ومفكرين متخصصين وعلماء في شتى العلوم الإنسانية، وتباينت تكويناتهم وعقائدهم وآراؤهم ومجتمعاتهم، وإن الحضارة لوحدها قد ورد لها مئات المفاهيم، ولم يتفق المهتمون في هذا المجال على مفهوم محدد يصلح وينطبق على كل الحضارات، لاختلافها من حيث النشأة والخصائص والظروف والدقة والدور الذي أدته، ويعد مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم التي أخضعت لعملية متواصلة من التلبيس والتشويه وطمس الدلالات، بصورة أدت إلى تحويل المفهوم إلى صفة ذات أبعاد قيميّة تفتقد الماهية والمصدقات، بحيث أصبح المفهوم يطلق على أشياء وعمليات ونظم وأنساق وأفكار متعارضة مختلفة ليس في مقاصدها ونتائجها وغايتها فحسب، وإنما في عناصرها أيضا ومكوناتها، مما اقترب بهذا المفهوم إلى مثل مفاهيم الحداثة والتقدم والرقي... الخ ، وذلك على الرغم من أهمية هذا المفهوم ومحوريته في الحركة الإنسانية، من حيث وصفها وتكييفها وبيان ماهيتها ووجهتها، وعلى الرغم من أنه يعد المفهوم الأساس لكثير من العلوم الاجتماعية والإنسانية مثل علم الإنثروبولوجي، وعلم الاجتماع، وعلم الاجتماع الحضاري، وعلم النفس، وعلم التربية. سواء باعتباره المكون الأساس لبنية العلم أو إنه الغاية التي ينشدها العلم أو الموضوع الذي يدور حوله.

أولا: الحضارة لغة:

الفعل الثلاثي لهذا المصطلح هو حضر ومنه تعريفات عديدة .وبالعودة إلى معاجم اللغة العربية ،نجد غيابا لهذه الكلمة ، مثل كتاب العين للفراهدي.

اما في لسان العرب نجد:

الحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار.[1]

لقد استخدم ابن منظور الحضارة بمعنى الحضر وهو الاستخدام الوحيد، وقد أورد استخدامات أخرى للحضر بطريقة مختلفة، وهي:

- الحضور نقيض المغيب، وحضر حضورا حضارة. بمعنى عنده قرب الشيء.جاء بمعنى أتى.
- الحضر خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضر.
- الحاضر: الحي العظيم.
- الحاضر ضد المسافر

يقول ابن فارس اللغوي النحوي :الحاء والراء والضاد إيراد الشيء وورود ومشاهدته .فالحضر خلاف البدو[2].

وجاء في تاج العروس: " الحضر محركة، والحضرة بفتح فسكون، والحضارة بالكسر عن أبي زيد وبفتح عن الأصمعي، خلاف البادية والبداوة والبدو.

، وكان الأصمعي يقول: الحضارة بالفتح قال القطامي:

من تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا "[2].

ومن الاستعمالات الأولى للحضارة في معنى مقابل للبداوة قول القطّامي :

فمن تكُنِ الحضارةُ أعجبتـه فأيّ رجال باديةٍ ترانا!

---

1 ــ ابن منظور، جما ل الدين محمد، لسان العرب، المجلد الرابع، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1955 م ، حرف الراء، فصل الحاء ، ص 197 .

(2) عمار توفيق احمد بدوي. مقوماتا لحضارة من منظور القرانالكريم. مذكرة لنيل شهادة الماجيستير جامعة فلسطين2005ص8.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس :محب الخطيب أبي الفيض السيد محمد الزبيدي ،ط دار الفكر، 6 / 268 .

ثانيا :الحضارة اصطلاحاً:

لم يتفق الباحثون في التاريخ والاجتماع والحضارة على تعريف معين لها، وإنما اختلفت تعريفاتهم تبعا لاختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومدارسهم، وجاء العرب المحدثون ليقول البعض منهم إن الحضارة: هي عقائد دينية، وازدهار اقتصادي، وإنجازات إنشائية، وأنظمة تشريعية، وتضامن اجتماعي، وفق تقاليد وعادات موحدة، أو قوى حربية.

ومنهم من عدها بأنها: الإنجازات التي تحققت للبشرية، أو تحققها البشرية، من خلق وسلوك ومعارف، بينما يراها آخر بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصودا أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية.

أ- مفهوم الحضارة في الفكر الغربي

1-جورج باستيد

الذي عرفها بأنها: (التدخل الإنساني الإيجابي لمواجهة ضرورات الطبيعة، تجاوبا مع إرادة التحرر في الإنسان، وتحقيقا لمزيد من التيسير في إرضاء حاجاته ورغباته، وإنقاصا للعناء البشري)[1]. ومثل من قال هي: (ثمرة كل جهد ــ مقصود أم غير مقصود ــ يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء كانت ثمرته مادية أم معنوية. . . وعناصرها الزمن والعقل والإنسان نفسه)[2].

2-ديورانت

أما تعريف ديورانت للحضارة فيقول:" الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية ، والنظم السياسية ، والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون ، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق". وعليه:. الحضارة لدى ديورانت هي حادثة عن الإنتاجية بغض النظر عن مستواها."[3].

---

[1] مُحمَّد بشير ' القيم الحضاريَّة: مفهومها وأهميَّتها ووسائل تطبيقها في السنَّة النَّبويَّة2008م دراسات دعوية ص51 العدد 15

2 ــ ــحسين مؤنس الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ــ ص 15ــ 19.

[3] عبد الصمد السويلم الوعي الحضاري في الفكر الاسلامي المعاصر الحضارة.. المصطلح والمفهوم بحوث ودراسات 2008 ص9

3- رالف لنتون

والحضارة في رأي رالف لنتون R. Linton هي السلوك الذي يتعلمه الإنسان في أي مجتمع من المجتمعات بالنقل عمن هم أكبر سنا، ثم يتعلمه منه الجيل الأصغر منه، وأن مهمة أي حضارة في مجموعها هي ضمان بقاء الجماعة التي تسود فيها تلك الحضارة واستمرار رفاهيتها.

Tylor -4

*تعريف Tylor E.B.: وهو أشهر تعريفات الحضارة وأكثر اختصارا وشمولا حيث يعرفها قائلا: ".. إنها ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة والمعتقد والفن والخلقيات والقانون والعادات وكل قدرات واعتيادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع.." [1]

5- شبنغلر

غير أن شبنغلر يرى أن الحضارة ظاهرة روحية لجماعة من الناس لها تصور واحد عن العالم ولكل كيان حضاري شخصية وخصائص ذاتية متميزة. فمفهوم الحضارة عنده هي فضاءات (spaces) منسجمة مستقلة بعضها عن بعض ومغلقة على ذاتها لكل منها روحها العميقة من الثقافات الكبرى توصلت للحديث بلغة سرية لا يمكن فهمها بشكل تام إلا من طرف الروح المنتمية إلى هذه الثقافات[2]

6- صامويل هنتنجتون

تعد أعلى تجمع ثقافي من البشر، وأعرض مستوى من الهوية الثقافية وتعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل : اللغة الدين التاريخ العادات والمؤسسات والتحقق الذاتي . وقد صنف الحضارات إلى ثمانية حضارات : الصينية اليابانية الهندية الإسلامية الغربية الأمريكية اللاتينية الإفريقية[3]

---

1 ــ بن كوسة دليلة . المشروع الحضاري الاسلامي بين العالمية والعولمة مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الجزائر 2010 ص38

(2)فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي حوار الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة)) الرسالة الدكتوراه في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة – قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية – جامعة الملك سعود 1430ه ص20

1 ــ صامويل هنتنجتون صدام الحضارات واعادة صنع النظام العالمي ن. طلعت الشايب ط2 1999 ص71

7-فرويد

يرى أن هناك تقابل بين الحضارة والتوحش حيث تدل الحضارة على مجموعة الأعمال والتنظيمات التي يبعدنا القبام بها عن الحالة الحيوانية التي كان عليها أجدادنا[1]

2- مفهوم الحضارة في الفكر العربي

1- أبو الاعلى المودودي

ابو الاعلى المودودي حاول في كتابه الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها التركيز على موقف الإسلام من الحياة الدنيا ، وإيثار الآخرة عليها ، وعرف الحضارة على أنها نظام متكامل يحوي مجموع المناهج والقوانين التي قررها الله تعلى تشمل كل ما للإنسان من أفكار ،و أراء و أعمال وأخلاق في حياته الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية ، فاعتبر مقياس التفوق الاقتصادي في موقف أي مجتمع من الحياة الدنيا.[2]

2- ابن خلدون

يقول ابن خلدون: " الحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ والملابس والمباني والفرش، وسائر عوائده وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه" [(4)].

3- النبهاني

ويعرّف النبهاني الحضارة بأنها " مجموع المفاهيم عن الحياة، وتكون الحضارة خاصة حسب وجهة النظر في الحياة " ويقسم النبهاني الحضارة إلى قسمين: الحضارة الغربية ويرى أنها تقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، والحضارة الإسلامية تقوم على أساس العقيدة القائمة على أساس الإيمان بالله، فهما حضارتان متناقضتان[3].

---

1 ــ بن كوسة دليلة . المشروع الحضاري الاسلامي بين العالمية والعولمة .مرجع سابق ص45

2 ــ ابو الاعلى المودودي نحن والحضارة الغربة . جدة الدار السعودية لنسر والتوزيع 19984 ص45

[3] مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، ط4 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ص172 .

[4] القيم الحضاريَّة: مفهومها وأهميَّتها ووسائل تطبيقها في السنَّة النَّبويَّة.مرجع سابق ص51

4-سعيد حوّى

يعرف سعيد حوّى الحضارة بقوله: هي " مجموع ثقافة ومدنية أمة من الأمم" ومن هذا التعريف يخلص الباحث إلى أنه يرى أن الحضارة تتميز بجانبين:

1ـ الجانب المادي: وهو الذي يتعلق بالأشياء المادية المحسوسة، من مخترعات ووسائل مادية، من سيارات وطائرات وعمارات إلخ، وهي المدنية .

2ـ الجانب الثقافي: وهو ما يتعلق بالعقائد والأفكار والتصورات والسلوك والآداب

5- ابن الأزرق

أما ابن الأزرق، فيسوق تعريفاً للحضارة يقول فيه إن: (الحضارة هي النهايةُ في أكمل العمران الخارج به إلى الفساد، والغاية في الشر البعيد عن الخير، ومن سلم من ذلك فلا خفاء في قربه من الخير...[1]

6- محمد سعيد رمضان البوطي

الحضارة بمعناها العام، ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة، أي ثمرة الجهود المبذولة من قبل الفكر الإنساني للاستفادة من الأجهزة الكونية المتناثرة حولنا أو هي الجانب الآخر غير المادي في حياة الأمة وهي العلم والتصورات والأفكار والسلوك والآداب وكل المعاني التي تدخل في الجانب المادي.[2]

---

1 ـ عبدالعزيز بنعثمان التويجري خضائص الحضارةالعربية الاسلامية وافاق المستقبل . ص4

1 ـ محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الاسلامية في القرآن، ص ١٩.

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي.

المفكر الإسلامي مالك بن نبي أعطى مفهوماً ديناميكيا للحضارة متأثرا بالمفاهيم الانتربولوجيا ومفاهيم علم النفس الاجتماعي في جدلية العلاقة بين الفرد والمجتمع يتحدد في ضرورة يرى ابن نبي أن الحضارة هي: " مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين، أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطواره"[1].

ويعمد ابن نبي في تعريفه للحضارة بالاعتماد على منهجين:

أحدهما: تحليلي تركيبي.

ثانيهما: وظيفي.

فبالمنهج التحليلي التركيبي، يسوق مثال المصباح الذي نستنير به، ويتساءل متى يصح تسمية هذا المصباح بالإنتاج الحضاري؟

والحقيقة، كما يضيف، لا يمكن وصفه بذلك إلا إذا كان هذا المصباح، والأفكار التي صاحبت إنجازه، والآدميون الذين قاموا بعملية الانجاز، يمثلون جميعا منتجات اجتماعية لحضارة معينة.

أما التعريف للحضارة فهي كونها: مجموع الشروط الأخلاقية والمادية.. التي أشرنا إليها سابقا «فالمدرسة، والعمل والمستشفى، ونظام شبكة المواصلات، والأمن في جميع صوره عبر كامل أنحاء الوطن، واحترام شخصية المواطن، تمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يستطيع أن يقدمها للفرد الذي ينتمي إليه»[2]

ويوظف مالك بن نبي التعريفين التحليلي والتركيبي من جهة، والوظيفي من جهة أخرى، ليصل إلى تصنيف فيقسمها إلى ثلاثة: مجتمع ما قبل الحضارة، وهو المجتمع البدائي أو الهمجي، ومجتمع الحضارة، وهو ما ينشده مالك بن نبي، ومجتمع ما بعد الحضارة وهو مجتمع السقوط والانحطاط، ومن هنا نستنتج أن مشكلة الحضارة عند رجل العالم الثالث الواقع في محور طنجة – جاكرتا يقوم على حل مشكلتين أساسيتين هما:

1– **عبد الصمد السويلم الالوعي الحضاري في الفكر الاسلامي المعاصر**.. المصطلح والمفهوم بحوث ودراسات 2008 ص9

2– **آفاق جزائرية** مرجع سابق ص 46-47

- المشكلة العضوية الخاصة بتشييد بناء قائم على الحقائق النفسية الاجتماعية في هذه البلاد.
- مشكلة التوجيه القائم على حقائق الوضع العالمي[1]

ففي الحضارة جانبان كما يقول مالك بن نبي، الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهامها الاجتماعية، شروطها المادية في صورة إمكان. أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام، أي بالوظيفة الحضارية[2]

وهكذا يؤكد على ما سميناه نحن بالتعادلية، وسماه بالتوازن بين وجهي الحياة المادي والمعنوي في إقامة النسيج المطلوب لصنع حضارة ما.

ومن هذا التعريف يتضح أنه لم يكن يقصد بالحضارة المدنية فقط، بل يفهم منه أن المدنية هي الأشكال المادية لمنتوجات الحضارة، ولكن الحضارة هي البعد ألاعتقادي والمعنوي للحضارة.

---

[1]– مالك بن نبي: **فكرة الإفريقية الآسيوية**: دار الفكر ـــ دمشق 1981ص 123.

[2]– **مالك بن نبي: المسلم في عالم الاقتصادي**، دمشق، دار الفكر 1979 ص 63

المطلب الثالث : مراحل الحضارة مرحلة الروح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة

يقسم مالك بن نبي الحضارة إلى ثلاثة مراحل هي:

مرحلة الروح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة، فماذا تعني كل مرحلة من هذه المراحل؟وما هي علاقتها ببعضها البعض كتفسير للحركة التاريخية؟ذاك ما سنتعرف عليه في التحليل التالي:

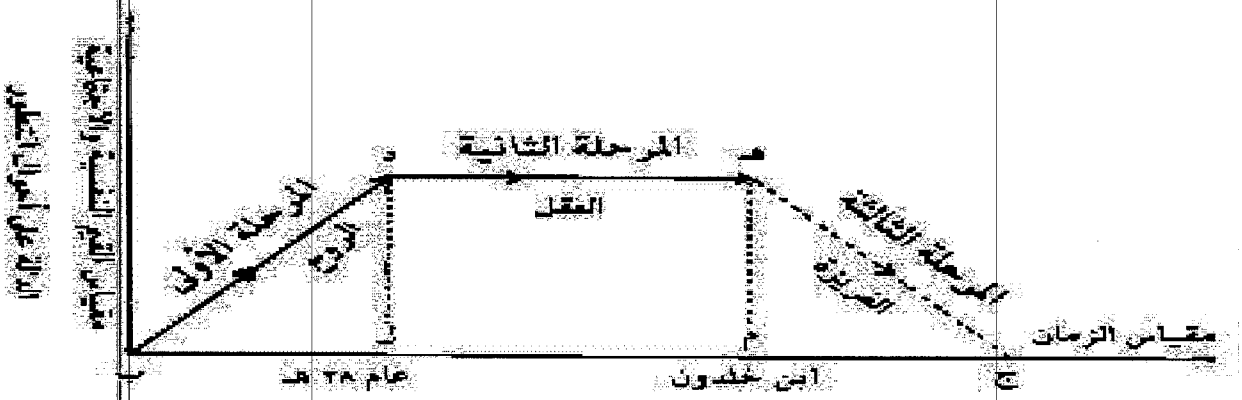

1ــ مرحلة سيادة الروح: وهي بداية الصعود

إن الفرد في هذه المرحلة يكون عند نقطة الصفر في الصورة التخطيطية، أي في حالة الفطرة، وحين تجيء الفكرة الدينية تتولى إخضاع غرائزه بـ " عملية شرطية " ليس من شأنها القضاء على غرائزه، ولكنها تتولى تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح.

2ــ مرحلة سيادة العقل: وهي مرحلة الانتشار والتوسع

وبعد المرحلة الروحية " يواصل المجتمع تطوره... وتكتمل شبكة روابطه الداخلية...فتنشأ المشاكل المحسوسة لهذا المجتمع الوليد نتيجة توسعه، كما تتولد ضرورات جديدة نتيجة اكتماله... وفي كلا الحالتين فإن المنعطف هو منعطف العقل... حيث تشرع الغرائز في التحرر من قيودها، بالطريقة التي شاهدناها في عهد بني أمية، إذ أخذت الروح تفقد نفوذها على الغرائز بالتدريج، وأخذت الغرائز لا تتحرر دفعة واحدة، وإنما هي تنطلق بقدر ما **تضعف الروح**".[1]

[1] شروط النهضة مرجع سابق : ص52 ،ص 67 ،ص 66 .

3ـــ مرحلة سيادة الغريزة: وهي مرحلة الأفول والانهيار

" وعندما يبلغ التحرر من الروح تمامه... يبدأ طور الغريزة تكشف عن وجهها تماماً، وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماماً، في مجتمع منحل، يكون قد دخل نهائياً في ليل التاريخ، وبذلك تتم دورة الحضارة " فالدوافع السلبية التي خلقتها " صفين " في المجتمع الإسلامي تنمو فيه يوماً فيوماً، إلى أن أتى القرن الثامن الهجري، فأخذت الحضارة في الأفول وبدأت الظلمات تغمرها في الأندلس" ويؤرخ لتلك الظاهرة " بسقوط دولة الموحدين، الذي كان في حقيقته سقوط حضارة لفظت آخر أنفاسها

وهكذا تفعل الغريزة فعلها في الإنسان وحضارته، فكلما استجاب الإنسان لنداء بطنه وفرجه انحطت قيمته، وكلما علا على غرائزه ومتطلباته حتى الأساسي منها، ارتفعت قيمته. وقد أشار الرسول إلى شيء من ذلك عندما قال: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) فارتكاب الذنوب، والتي هي صورة من صور الغرائز يحرم الإنسان من الرزق، وأظنه يحرم المجتمع الإسلامي من الحضارة التي توفر له مستوى معيشي واجتماعي راقي[1].

([1]) عصام محمد علي عدوان مشكلات العالم الإسلامي الثقافية والفكرية والدينية ومعالجاتها في فكر مالك بن نبي بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية جامعة القدس المفتوحة– منطقة غزة التعليمية 2007 ص280

المبحث الثاني : عناصر الحضارة عند مالك بن نبي

إن المحلل للمنهج الذي اعتمده مالك بن نبي في تركيب الحضارة عموما، وفي المجتمع الإسلامي خصوصا، يلمس مدى استفادة مالك بن نبي من تكوينه الهندسي في تعامله مع الأسلاك ومع المادة، وفي تكوينه الإسلامي، في صقل عقله وقلبه، بما سماه بالظاهرة القرآنية، وما نتج عن ذلك لينعكس كله، في شكل منهج تحليلي تركيبي، وظيفي كما أسلفنا، وهو ما عرف عنه بالإبداع المنهجي، ممثلا في أول نظرية فلسفية، تاريخية دينية جسدها معادلته العجيبة التي تعيد إشكالية الحضارة إلى وجوب البدء لحل ثلاث مشكلات أساسية هي: مشكلة الإنسان، ومشكلة التراب، ومشكلة الوقت.

فلكي نقيم حضارة ما «يجب أن نصنع رجالا في التاريخ مستخدمين التراب والوقت في بناء أهدافهم»[1]

المطب الأول : الإنسان

يعد الانسان العنصر الاساسي في صناعة التريخ حيث صرح قائلا فاذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ واذا سكن سكن التاريخ والمجتمع .فالانسان هو الجهاز الاجتماعي الاول وهو محرك المجتمع ، لهذا اعطاء اهميةلهذاالعنصرالاول.فالانسانالفعالكما قول احد المفكرين يحمل طقسه معه فسان ان يكون مشمسا او ممطرا

فالنسان هو صانع التاريخ وموجد الحضارة.[2]

فالإنسان هو الذى يحدد القيمة الاجتماعية للمعادلة التى صاغها ابن نبى، وإن كان مالك بن نبى يتحدث عن إنسان الحضارة بصفة عامة إلا أنه يعنيه فى هذا المقام الإنسان المسلم، ولكى يكون هذا الإنسان قادرا على تحقيق النهضة لابد له من شروط ثلاثة:

1- أن يعرف نفسه، ويعمل على تنقيتها من كل أنواع التخلف.

2- أن يعرف الآخرين وألا يتعالى عليهم وألا يتجاهلهم.

---

[1]- تاملات دار الفكر ــ دمشق 1981ص 197

[2]- المرجع نفسه 129.

3- أن يُعَرِّف الآخرين بنفسه، ولكن بالصورة المحببة، بالصورة التى أجريت عليها كل عمليات التغيير بعد التنقية والتصفية من كل رواسب القابلية للاستعمار والتخلف وأصناف التقهقر. [1]

والإسلام يُمَلِّك المسلم كل مقومات هذا العالم الخلاق المحرك، ومن هنا فعلى المسلم أن يحاول تصفية وتنقية مفاهيمه فيتخلص من الأفكار الميتة والأفكار القاتلة، ويقصد ابن نبى بالأولى: الأفكار التى يصنعها المجتمع بنفسه، ثم تبقى فى تراثه الاجتماعى " أفكارا ميتة" كتلك التى ورثها المجتمع الإسلامى من عصر ما بعد الموحدين. وقال: إن هذه الأفكار تمثل خطرا أشد عليه من خطر "الأفكار القاتلة" لأنها منسجمة مع عاداته " وتفعل فعلها فى كيانه من الداخل! ويؤكد ابن نبى أن هذه الأفكار "التى كانت قاتلة فى مجتمع حى قبل أن تصبح ميتة فى مجتمع يريد الحياة، لم تولد بباريس أو لندن، بل ولدت بفاس والجزائر وتونس والقاهرة". أما الثانية فهى التى نستعيرها من الغرب، وقد مثل لهما ابن نبى "بالجانب الذى نسميه الاستعمار، والجانب الذى نطلق عليه القابلية للاستعمار"

ولذلك فإذا أراد المسلم التحرر من الاستعمار، فعليه أولا أن يتخلص من فكرة القابلية للاستعمار" التى يعدها ابن نبى عائقا معرقلا لحركة النهضة.

ولكى يتحرر هذا الفكر وتكون للمسلم فعالية لابد له من تحقق "الثقافة"، فهى تلازم الإنسان المتحضر وترتبط بالحضارة ارتباطا عضويا فى جانبها التربوي. والثقافة- كما يجدها ابن نبى- تتكون من عناصر جوهرية أربعة تلزمها ولا تنفك عنها وهى: الدستور الخلقى، والذوق الجمالى، والمنطق العملى، والصناعة بتعبير ابن خلدون أو(التقنية). ومن هنا فبالإمكان تعريف الثقافة بأنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التى يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولى فى الوسط الذى ولد فيه، والثقافة على هذا هى المحيط الذى يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته "

[1]- سورة آل عمران: آية 110.

المطلب الثاني :الوقت

وهو الزمن الذى بتحديده يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو على ذلك جوهر الحياة الذى لا يقدر بثمن وفى "ساعات الخطر فى التاريخ تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء إذا استيقظت، ففى هذه الساعات التى تحدث فيها انتفاضات الشعوب، لا يقوم الوقت بالمال، كما ينتفى عنه معنى العدم، إنه يصبح جوهر الحياة الذى لا يقدر" [1]

والعالم الإسلامي لا ينقصه معرفة شيء اسمه (الوقت)، ولكن ينقصه إدراك معناه، فينتهى عنده الوقت إلى عدم " ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ، مع أن فلكيا عربيا مسلما هو "أبو الحسن المراكشى" يعتبر أول من أدرك: هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي فى عصرنا " [2]

المطلب الثالث : التراب

لقد عنى ابن نبى بهذا العنصر قيمته الاجتماعية التى يستمدها من قيمة مالكيه " فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالى القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط " [3].

وابن نبى يستخدم هذا المصطلح لأنه عماد حياة المجتمع المادية "ومن التراب كل شيء على الأرض، وفى باطنها، ومعنى التراب هنا ليس هو المعنى المتبادر إلى الذهن. فقد تعمدت ألا أستخدم كلمة مادة لأسباب فقلت: "التراب". لأن التراب يتصل به الإنسان بصورتين: صورة الملكية أى من حيث تشريع الملكية فى المجتمع الذى يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية. فالتراب هنا شيء حيوى فى المجتمع من حيث التشريع، وهو يتصل به بصورة أخرى من ناحية علم التراب والمعلومات التى تتصل به كالكيمياء وغيرها، فالتراب نعنى به

---

[1]– **شروط النهضة**– مصدر سابق– ص 139

[2]– مرجع نفسه– ص 140.

[3]–: **تأملات**– مصدر سابق– ص 168.

هذين الجانبين جانب التشريع، وجانب السيطرة الفنية" [1] ويؤكد مالك بن نبي هنا بالخصوص على عامل الدين كمركب عام لجميع أنواع الحضارات الإنسانية، كما هو الحال بالنسبة للمسحية في الحضارة الغربية (توينبي) والحضارة الإسلامية في حياة محمد صلى الله وعليه وسلم وتأملاته الإلهامية في غار حراء.

ويخلص المؤلف إلى نتيجة رائعة من منهجيته هذا يجسدها قوله: «يتبين - حسب الاعتبارات الاجتماعية التي انتهى إليها التحليل - أن المعادلة الهامة التي انتهينا إليها تدل على أن مشكلة الحضارة لا تحل باستيراد منتجات حضارية موجودة، ولكنها تتطلب حل ثلاث مشكلات جزئية». على النحو التالي:

1 الانسان: لأنه هو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده حيث اخترع الفكر الإنساني الورق.

2التراب : إذ من التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها، ومعنى التراب هنا ليس المتبادر إلى الذهن فقد تعمّدت ألاّ استخدم كلمة مادة. لأن التراب يتّصل به الإنسان بصورتين: صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع الذي يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية، فالتراب هنا شيء حيوي في المجتمع من حيث التشريع. وهو يتّصل به بصورة أخرى من ناحية علم التراب والمعلومات التي تتصل به كالكيمياء وغيرها فالتراب نعني به هذين الجانبين: جانب التشريع وجانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني. فالتراب بهذا المعنى يدخل في عناصر هذه الورقة.

3الزمن :لأنه إذا صحّ ما أقول فلماذا لم يخترع الفكر الإنساني الورق قبل هذا التاريخ ؟ إن الجواب على ذلك هو نقص تجاربه في هذا المضمار، في مضمار علم التراب والنباتات فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكف لتخمّر فكرة ابتكار الورق، إذن يجب أن نجهز عناصر ثلاثة حتى يتكوّن منها الورق. الإنسان – التراب – الوقت[2] ومنه **الحضارة = إنسان + تراب +وقت**

---

[1]– مرجع نفسه 129.

[2]–: **تأملات**- مصدر سابق- ص 168.

المبحث الثالث :موقف ابن نبي من الحضارة الغربية المعاصرة والاستعمار و الاستشراف

المطلب الأول: موقفه من الحضارة الغربية

الغرب يمثل ظاهرة العصر الحضارية وأنه واقع تاريخي على المسلم أن يعرف كيف يعايشه لكن الذي لا يقبله مالك هو أن يغيب عن المسلم ما يمثله الغرب في واقعه فينظر إليه باعتباره قدوة ويرجع إليه باعتباره مصدرا في الوقت الذي ينبغي أن يجعله موضوعا ضمن بحثه ودرسه يتأمل في علله وأسبابه وينظر إلى نتائجه وأحواله.

لقد حث مالك بن نبي في مقالاته المتنوعة على ضرورة الاطلاع على تاريخ الغرب الديني والسياسي والاقتصادي والثقافي لأن دراستنا لأصول الفكر الديني في الغرب مثلا تعود بفوائد كبيرة على الفكر الإسلامي وخاصة في مجال تفسير القرآن الكريم. فلا يتصور بحال أن ندرس الإسلام أو القرآن بعيدا عن تاريخ الأديان. وقد عبر عن ذلك في دراسته الظاهرة القرآنية وأثناء تحليله لموضوع الإعجاز القرآني وجد من الضروري "إعادة النظر في القضية (إعجاز القرآن) في نطاق الظروف الجديدة التي يمر بها المسلم اليوم مع الضرورات التي يواجهها في مجال العقيدة والروح"[1]

ثم إن تطلع مالك بن نبي إلى تأسيس رؤية جديدة عن علاقة المسلمين بالغرب وإلى بناء فكر حضاري جديد جعله يتحدث بلغة المحفز عن البحث الموسوعي والتوثيقي لتوسيع مدارك الباحث المسلم وذلك بإضافة شرط آخر إلى شروط المُفسر حين يقول:" ومن المفيد هنا أن نذكر كم سيكون مفسر الغد بحاجة إلى معرفة لغوية وأثرية واسعة، فإن عليه أن يتتبع الترجمة اليونانية السبعينية للكتاب المقدس والترجمة اللاتينية الأولى من خلال الوثائق السريانية والآرامية ليدرس مشكلة الكتب المقدسة..." دراسة موضوعية تسعفه في التعرف على أصول الغرب الدينية وتمكنه من أداة منهجية إضافية لتفسير القرآن الكريم. إذ المكتوب باللغات القديمة يعد أهم في شرح التاريخ القديم من المكتوب باللغات الحديثة.

---

1 ــ الظاهرة القرآنية، ص:63

تشبث مالك بن نبي بفكرة أن الحضارة الغربية ذات أصول دينية مسيحية تدفعه باستمرار إلى النبش في الأمس الغابر والبحث عن أولى بذور هذه المدنية لكي يبرهن لمحاوريه غير المباشرين بل لكي يفحمهم بقوله:" إن العلوم والفنون والصناعات ما كان لها أن توجد لولا صلات اجتماعية خاصة...وهل هذه العلاقة الخاصة في أصلها سوى الرابطة المسيحية التي أنتجت الحضارة الغربية منذ عهد شرلمان؟[1]

بالإضافة إلى المصدر الديني للحضارة الغربية يقف مالك بن نبي في موضوع الغرب على أكثر من قضية ليعيد النظر في دراستها وقراءتها، ومن ذلك على سبيل المثال ما يتعلق بالتفسير الذي يقدمه كل من الرأسمالي والاشتراكي لظاهرة الفاعلية في المجتمع. فبعد أن يسمع رأي الفريقين، يحسم برأيه في الموضوع قائلا: " فالحقيقة واحدة في المعسكرين رغم التفسير السياسي الذي يختلف، إذ الأسباب والدوافع لا تختلف في المعسكرين. فالنتيجة الاجتماعية واحدة فيهما حيث أنهما يكفلان للفرد الضمانات الاجتماعية..."

وكذلك عندما يتعلق الأمر بموضوع الفكر الأوربي فإن مالك بن نبي لا يعثر على ما يميز المجتمع الرأسمالي عن المجتمع الاشتراكي لأن " الفكر الغربي يجنح على ما يبدو أساسا إلى الدوران حول مفهوم الوزن والكم، وهو عندنا ينحرف نحو المغالاة فهو يصل حتما إلى المادية في شكليها: الشكل البورجوازي للمجتمع الاستهلاكي والشكل الجدلي للمجتمع السوفياتي".[2]

مما لا شك فيه أن الغرب متنوع في ظواهره ومظاهره ومواقفه، وأن علاقته بالعالم الإسلامي قد عكست شيئا كثيرا من هذا التنوع. وكتابات مالك بن نبي قد رصدت في تفاصيلها وفي أمثلتها الكثيرة نماذج متعددة للغرب يمكن أن نختزلها في ثلاثة رئيسة: الغرب المستعمر، والغرب المستشرق، والغرب المتحضر

---

1 ــ مشكلة الأفكار، مرجع سابق ص:81.

1 ــ مهدية العياشي أمنوح .منهج مالك بن نبي في دراسة الغرب www.binbadis.net2012

1- الغرب المستعمر:

أما الغرب المستعمر فقد جاء معادلا في تصوير وتحليل مالك بن نبي لأخبث الشرور التي عرفها الإنسان بصفة عامة وعرفها المسلم بشكل خاص، وقد اصطلح عليه اسم الشيطان، وفي هذا يقول:" فالاستعمار يعد في نظر كل مسلم الشيطان"

فمن خلال تجربته الواقعية، وقف مالك بن نبي على مخطط الاستعمار في تكييفه للإنسان المستعمر. إذ أنه يسعى أولا وقبل كل شيء إلى إفساد فطرة هذا الإنسان وإلى جعله خائنا ضد مجتمعه الذي يعيش فيه. فإن لم يستطع، فإنه يحاول أن يحقق خيانة المجتمع لهذا الفرد على يد بعض الأشرار. وبذلك تبدأ شبكة العلاقات الاجتماعية في الانخرام وفق ما يرتضيه المستعمر. [1]

– الغرب المستشرق

إن اهتمام الكتاب الغربيين بالفكر الإسلامي وبالحضارة الإسلامية أثار انتباه مالك بن نبي بشكل مباشر فعندما كان مقيما في فرنسا أتيحت له فرصة التعرف على بعضهم عن قرب كما أتاح له ذلك المقام متابعة ما يصدر من دراسات حول الإسلام والمسلمين وما يثيره ذلك من ردود أفعال متنوعة في الوسط الغربي.

إن مالكا قد قسم المستشرقين إلى قدامى ومحدثين. وقسم المحدثين إلى قادحين في التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية ومادحين لهما.

إذا كانت الفئة الأولى وهي القديمة لم تتدخل في نسيج الفكر الإسلامي بشكل عنيف ولم تؤثر فيه، وإذا كانت الفئة الثانية وهي الحديثة والقادحة قد أثرت بشكل محدود لما كان في نفوس المسلمين من استعداد لمواجهة أثره تلقائيا كما وقع ذلك في العهد الذي نشر فيه طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي)

. ولكن مالك بن نبي يرى أن أفكار هؤلاء " كان لها وقع أكبر في المجتمع الإسلامي، في طبقاته المثقفة" إذ أن "الجيل المسلم الذي انتسب إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة

---

1 ــ **محمد سيف الإسلام بوفلاقة أنواع الغرب عند مالك بن نب**يقراءة في العدد (5/4)من مجلة بونة للبحوث والدراسات الخاص بمالك بن نبي جامعة عنابة،2013

التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص، الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية"

فمن هنا تسلل الغرب المستشرق إلى الفكر الإسلامي ليزرع فيه تلك المخدرات التي تخدر ضميره وتسليه ويتقبلها بكل زهو وشغف.

وينتهي مالك بن نبي إلى حقيقة موضوعية في هذا السياق وهي أن "الإنتاج الاستشـــراقي بكلا نوعيه كان شرا على المجتمع الإسلامي لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان ســـواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار مجتمع ما بعد الموحدين"

الغرب المتحضر:

هو ذاك الغرب القريب من مالك بن نبي الذي أحبه كثيرا وبهره كثيرا ليس لأنـــه مـــادة مصنعة أو آلة متحركة أو مظهرا براقا بل لأنه سلوك راق واندفاع واع نحو الفطرة الـــتي فُطـــر الإنسان عليها.

إنه غرب آخر لا علاقة له بالحياة المضطربة والمصطنعة التي تضلل السائل عن الحضارة الغربية. لم يكن ممكنا لمالك بن نبي بباريس أن يتعرف على الوجه الحقيقي للحياة الفرنسية لولا أن الأقدار سخرته لتتعرف زوجه خديجة على الإسلام وسخرتها هي ليتعرف بدوره على الحياة الأصـــيلة في الحضارة الفرنسية. فقد تمكن عن طريقها وأثناء زيارته لأمها في إحدى القـــرى الفرنســـية مـــن الوقوف على الوجه الآخر للغرب. لقد وجد الصورة الأصيلة في "الريـــف، في الطبيعـــة حيـــث تكونت صلة الإنسان بالتراب على مدى القرون"[1]

1 ــ محمد سيف الإسلام بـــوفلاقـــة أنواع الغرب عند مالك بن نبي مرجع سابق

المطلب الثاني : موقفـــــــه من الاستعـــــمار .

لقد أخذ يدرس الاستعمار كواقع موجود أمامه، وقام بتقسيمه إلى قسمين، أطلـــق علـــى الأول اسم المعامل الاستعماري، وأطلق على الثاني اسم معامل القابلية للاستعمار.

أولاً : المعامل الاستعماري :

يقصد مالك بمصطلح المعامل" ما يفرضه الاستعمار على حياة الفرد من عامل سلبي يسميه بالمصطلح الرياضي اسم المعامل"والمعامل الاستعماري يقصد به وجود الاستعمار خارج الـــنفس البشرية، كواقع ظاهر للعيان، يعمل على تحطيم الفرد المستعمر بوسائل ظاهرة وذلـــك بوضـــع العراقيل ، لتضييق نشاط الحياة في البلاد المستعمرة حتى تكون مصبوبة في قالب ضـــيق يهيئـــه الاستعمار في كل جزئياته، خوفاً من أن تتيح الحياة المطلقة لمواهب الإنسان أن تأخـــذ مجراهـــا الطبيعي إلى النبوغ والعبقرية، فهذا من الناحية الجدلية، خارجي بكيفية ما، لأنه يرينا كيف يـــؤثر الاستعمار على الفرد من الخارج ليخلق منه الكائن المغلوب على أمره".[3]

ثانياً : معامل القابلية للاستعمار:

والمقصود به الهزيمة النفسية التي يصاب بها المغزو؛ ليصبح قابلاً للاستعمار وتبعاته ومـــدافعاً عنه وهو معامل داخلي نفسي، وهو المفهوم الأشهر لمالك، فهو معامل يجعل الفرد يستبطن مفاهيم المستعمر عنه، ويقبل بالحدود التي رسمها المستعمر لشخصيته ويقبل بالمصطلحات التي تقلل مـــن شأنه، ويأخذ في ترديدها حتى تصبح لها أثراً نفسياً على ذاتية المستعمر.

إن مالك يركز على هذا المعامل كثيراً، ويعتبره هو الانتكاسة النفسية للذات المغلوبة أمام الذات الغالبة، حتى تشعر بأن كل ما يقوله ويصفه ويضعه هو الصواب، حتى ولو وصفه المستعمر بأي شيء، فيعتبر في عرف المستعمر صحيحاً يدافع عنه، ولذلك يرى مالك أنه لكي نتخلص من الاستعمار الجاثم على قلوبنا علينا أن نتخلص أولاً من القابلية له فيقول: " إن القضية عندنا منوطة أولاً، بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا، من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر، وما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا ، وتشتيتها على أيدينا، فلا رجـــاء في

---

[3] شروط النهضة مرجع سابق :ص152 .

استقلال، ولا أمل في حرية، مهما كانت الأوضاع السياسية، وقد قال أحد المصلحين" أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم "[1].

ثالثاً : الاستعمار وشبكة العلاقات الاجتماعية :

إن مالك يحدد طبيعة المجتمع من خلال ثلاثة عوالم، لابد من تواجدها وهي " عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء "[5] وبدون هذه الأسس الثلاثة، لا يمكن يتم بناء مجتمع فيقول: " لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج أيدلوجية من عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص، ولابد من عمل منظم بين هذه العوالم الثلاثة، ولكي تؤدي إلى عمل تاريخي، فلابد من عالم رابع هو مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية أو ما يطلق عليه شبكة العلاقات الاجتماعية ".[1]

وعلى ذلك فإن الاستعمار ليس غبياً حيث يعرف طبيعة مكونات المجتمع، ودور شبكة العلاقات فيه، إنه يعرف أكبر مؤثر في تحديد طبيعة المجتمع، والأساس المحرك له ألا وهو الفكر، والاستعمار يسعى لتغيير المجتمع وفقاً لما يراه، فإذا استطاع أن يغير الفرد ليجعل القابلية للاستعمار مغروسة فيه، فهو أيضاً يسعى لتدمير المجتمع، والعمل لتسهيل قيادته، فهو يعلم" أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تؤمن بقاء المجتمع، وتحفظ له شخصيته، وإنها هي التي تنظم طاقته الحيوية ، لتتيح له أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ، وبدهي أننا لا نستطيع أن نفترض أن الاستعمار يجهل هذه العوامل في بلد مستعمر فهو يطبق في سياسته إزاء البلد المستعمر القاعدة " فرّق تسد

---

[1] شروط النهضة ص154 ،ص 155 .

[5] ميلاد مجتمع : ص23 .

[1] مرجع نفسه : ص24 .

المطلب الثالث : مـــــوقفـــــه من الاستشراف

إن مالك لم يعتن بالاستشراق كفكرة، بل أراد أن يدرس العامل النفسي، الحملـــة فكـــر الاستشراق، وهم المستشرقون" الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية " .

أولاً: من الناحية العلمية:

يرى مالك بن نبي أن الاستشراق في بدايته درس الفكر الإسلامي؛ لتحقيق الهدف العلمي فيقول: " إن أوروبا عن طريق الاستشراق تريد اكتشاف الفكر الإسلامي وترجمته من أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات الموفقة التي هدتها إلى حركة النهضة " ولقـــد اعترف المستشرقون المعتدلون بفضل الشعوب الإسلامية، وبمساهمتها في تكوين الرصيد الحضاري الإنساني، من خلال مجهودات العلماء المسلمين. .[2]

ثانياً : من الناحية الدينية :

كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق ،وقد صاحبه خلال مراحله الطويلة.

ا ـــ التشكيك في صحة رسالة النبي ص، وذلك عن طريق الطعن في ظاهرة الوحي واعتبار أنهـــا ذاتية وما هي إلا إلهام نفسي أو هواجس داخلية تملكت ذات محمد فقال ما قال، وليـــس هنـــاك وحي خارجي ، وأنها ما هي إلا مظاهر اختلاط وهلوسة.

ب ـــ التشكيك في صحة القرآن وإرجاع الإسلام كله إلى مصادر نصرانية ويهودية، فقد ادعـــى اليهود والنصارى أن محمداً ص قد أخذ القرآن من الكتاب المقدس، حيث قام الآباء اليســـوعيون بابحاث لكي يحددوا مدى مساهمة شعراء النصرانية في الجاهلية في التأثير اليهودي والمســـيحي في الحياة الجاهلية ومن ثم في القرآن الكريم وفي الإسلام

ثالثاً: من الناحية السياسية:

يرى ابن نبي أنه يجب " أن نأخذ في حسابنا أن كل ما ينتجه العقل لا يخلو من بعد عملي يستغل في ميدان السياسة وهو بذلك يؤكد أن هناك عامل سياسي يوجه انتاج المستشرقين بحيث

---

[2] مالك بن نبي.إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع 1969 ، لطبعة:1 ص7 .

تسخر للصراع الفكري، ويوضح مالك أن هذا الهدف لم يكن من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية لتسيطر بشكل قوي على العالم الإسلامي

آثار المستشرقين:

إن مالك لم ينظر إلى إنتاج المستشرقين من خلال كتاباتهم جميعاً، ولكنه أخذ يحلل الاتجاه العام لكتاباتهم، من خلال تقسيمه الزمني لطبقاتهم.

1ـ تأثير الطبقة الأولى: " فالقدماء أثروا وربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي، دون أيما تأثير على أفكارنا نحن معشر المسلمين ولا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم ".

2ـ تأثير الطبقة الثانية: وتظهر من حيث الاتجاه العام الناقد للفكر الإسلامي حيث يترك " المنتقدون للحضارة الإسلامية المحدثون حتى ولو كان لهم بعض الأثر في تحريك أقلام المفكرين المسلمين، فإنهم لا يدخلون في موضوع بحثنا، لأن إنتاجهم على فرض أنه مس ثقافتنا إلى حد ما، إلا أنه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا لما في نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائياً، مواجهة تدخلت فيها عوامل الدفاع الفطرية عن الكيان الثقافي

فمالك قد كان مصيباً في ذلك؛ لأن كل مواجهة واضحة يفهم منها الطعن في الإسلام ستحرك أقلام كل المفكرين والكتّاب للدفاع عن الإسلام، فهذه حرب ظاهرة وواضحة ومكشوفة وليس فيها خطورة كبيرة.

3ـ تأثير الطبقة الثالثة: من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام، وهي طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، فهو يحذر منها تحذيراً كبيراً ، ويعتبرهم أخطر من الناقدين وسبب ذلك أنهم يدخلون أفكارهم المسمومة ضمن مديحهم، ويتقبلها المسلمون دون إدراك أو وعي حيث " نجد للمادحين الأثر الملموس، الذي يمكننا تصوره، بقدر ما ندرك أنه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لرد الفعل، حيث لم يكن هناك في بادئ الأمر مبرر للدفاع الذي فقد جدواه وكأنما أصبح جهازه معطلاً لهذا السبب في نفوسنا ". (2)

(2) مالك بن نبي.إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، مرجع سابق ص12

الفصل الثالث

الفصل الثالث :التجديد الحضاري عند مالك بن نبي

المبحث الأول : التجديد الحضاري مدلوله وأبعاده في فكر مالك بن نبي

المطلب الأول : مدلول التجديد الحضاري

يعتبر مفهوم التجديد من أكثر المفاهيم التي تنازعتها التيارات الثقافية والفكرية المختلفة، وقد انعكس هذا التنازع على المفهوم ذاته من حيث معناه ودلالاته، وواقعيًا يصل الباحثون لمُسلَّمة هي أن التجديد -على المستوى النظامي والحركي- قد تُخفق أهم جهوده نظرًا لعدم وضوح التأصيل الفكري والمنهجي لعملية التجديد في تأكيد واضح على أهمية الربط بين النظرية والفاعلية في مجال التجديد الحضاري.

- **التجديد في اللغة العربية**

والتجديد في اللغة العربية من أصل الفعل "تجدد" أي صار جديدًا، جدده أي صيّره جديدًا وكذلك أجدّه واستجده، وكذلك سُمِّي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديدًا، ومن خلال هذه المعاني اللغوية يمكن القول: أن التجديد في الأصل معناه اللغوي يبعث في الذهن تصورًا تجتمع فيه ثلاثة معانٍ متصلة:

أ- أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجودًا وقائمًا وللناس به عهد.

ب- أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديمًا.

جـ- أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق. [1]

والجديد لغة: لجديد خلاف القديم وجدد الشيء يجدده صيره جديدًا، أي جعله جديدًا أي حول القديم فجعله جديدًا". [2]

---

(1)عودة عبد عودة عبد الله.التراث التفسيري للقرآن بين الأصالة والمعاصرة جامعة النجاح الوطنية/ فلسطين ص5

(2)طلال بن عقيل بن عطاس الخيري مفاهيم الحضارة والمدنية والثقافية وموقف النظرية التربوية الإسلامية منها بحوث ودراسات جامعة الملك عبد العزيز 2008ص8

➢ التجديد في القرآن الكريم

وبالرجوع إلى الكتاب الكريم لم نجد فيه لفظ التجديد، إنما وجدنا لفظ {جديد}، وذلك في ثلاث آيات وهي قوله تعالى: { **وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** } الإسراء/49، وقوله تعالى: { **بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** }ق/15 وقوله تعالى: { **وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ** }السجدة/10.

والمراد بالجديد في الآيات الكريمات، هو البعث والإعادة، وهو ما كان يستبعده المشركون ويتعجبون منه[1].

➢ التجديد في السنة النبوية

أشارت السنة النبوية لمفهوم التجديد من خلال المعاني السابقة المتصلة: الخلق- الضعف أو الموت-الإعادة والإحياء. ويعتبر حديث التجديد [عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله- (صلى الله عليه وسلم): "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها" رواه أبو داود]: من أهم الإشارات إلى مفهوم التجديد في السنة النبوية، وقد تعلقت بهذا الحديث مجموعة من الأفكار أهمها:

1-تجديد الدين: هو في حقيقته تجديد وإحياء وإصلاح لعلاقة المسلمين بالدين والتفاعل مع أصوله والاهتداء بهديه؛ لتحقيق العمارة الحضارية وتجديد حال المسلمين ولا يعني إطلاقا تبديلاً في الدين أو الشرع ذاته.

2-زمن التجديد: اعتبر بعض الباحثين أن الإشارة الواردة في الحديث عن زمن التجديد على رأس كل مائة إنما هي دلالة على حقيقة استمرارية عملية التجديد، وتقارب زمانه بحيث يصبح عملية تواصل وتوريث.

3- المجدِّد: اجتهد العلماء في توصيف وتحديد المجدد على رأس كل مائة سنة، لكن البعض يرى أن المجدد يقصد به الفرد أو الجماعة التي تحمل لواء التجديد في هذا العصر أو ذاك، ويجوز تفرقهم في البلاد، ويعرفهم ابن كثير بأنهم حملة العلم في كل عصر.

(1)عيادة ابن أيوب الكبيسي التراث المنقول ومناهج النظر فيه(التفسير بالمأثور أنموذجاً) مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية2009م ص15

➢ التجديد لدى الغرب

يعتبر مفهوم التجديد لدى الغرب إفرازاً لصراع حاد بين الكنيسة من جانب وسلطة المعرفة والعلم والعقل من جانب آخر، مما دفع الأخيرة للاتجاه نحو تجاوز كل النظريات الدينية تحت مسمى التجديد.

يرتكز مفهوم التجديد في الفكر الغربي على أساسين:

أ- لا تُرى عملية التجديد إلا بمنظور التكيف في إطار من نسبية القيم وغياب العلاقة الواضحة بين الثابت والمتغير؛ إذ تعتبر كل قيمة قابلة للإصابة بالتبدل والتحول، وعلى الإنسان أن يستجيب لهذه التغيرات بما أسمته التكيف، و لم يطرح الفكر الغربي قواعد لعملية التجديد وحدوده وغاياته ومقاصده.

ب- يغلب على مفهوم التجديد في الفكر الغربي عملية التجاوز المستمرة للماضي أو حتى الواقع الراهن؛ من خلال مفهوم الثورة والذي يشير إلى التغيير الجذري والانقلاب في وضعية المجتمع. [1]

ثانيا :التجديد الحضاري

إن التجديد الحضاري يمثل كما رأينا شرطا ضروريا لوجود الحضارة لكن مفهوم التجديد تلازمه مفاهيم أخرى، يظهر من خلال المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي أنّه لا يقوم التجديد بدونها بحيث نجد بعضها يمثل شرطا سابقا عليه وبعضها يمثل عنصرا ملازما له وبعضها يمثل نتيجة حتمية له.

إنّ التجديد الحضاري فاعلية بشرية ترتبط بعدة فعاليات أخرى، هذه الفعاليات بعضها يمثل شرطا ضروريا لحصول التجديد الحضاري وهو قدرة الإنسان على الإبداع بشقيه الاختراع والاكتشاف، فلم يعرف التاريخ حضارة بدون اختراع ومخترعين واختراعات ولا بدون اكتشاف ومكتشفين ومكتشفات، فهناك حضارة الزراعة وحضارة التجارة وحضارة الصناعة والحضارة الحديثة والمعاصرة هي حضارة هذه المعطيات ككل، وأي مجتمع يخلوا من المبدعين في الجانب

---

(1)منة الله مجدى بهجت مصطلح المنهج التجديدي بين المفهوم الإسلامي والغربي بحث في مادة مناهج الدعوة كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية ماليزيا

الفكري والجانب الاجتماعي والمادي فهو مجتمع يخلو من الحضارة وليس فيه تجديد حضاري، وأي مجتمع فيه إبداع وتحضر فيه التغير والتطور والتقدم والتحول وهي مفاهيم ترادف مفهوم التجديد الحضاري وتعبر عنه وتدل عليه.

إذا كان التجديد الحضاري مفهوم مركب من أمرين هما التجديد والحضارة فالتجديد كما سبق وأن عرفنا هو إنتاج الأشياء الجديدة المعنوية والمادية، وبهذا فهو تطوير للأفكار وللعمل ووسائل العمل، يدخل هذا التجديد في إطار إستراتيجية البناء الحضاري الذي تمثله الحضارة كظاهرة بشرية تاريخية اجتماعية للفرد الدور الكبير في إيجادها، وإذا كانت الحضارة هي انتقال الإنسان من حياة بسيطة بدائية إلى حياة مدنية مزدهرة تتوفر فيها شروط الحياة الإنسانية الراقية بما يكفل لكل فرد مطالبه وحاجاته في كل مرحلة من مراحل حياته، فإن التجديد الحضاري هو شرط ضروري سابق على كل حضارة ومن جهة أخرى فإن التجديد في الحضارة بعد قيامها أمر واجب لضمان قوة الحضارة واستمرارها، فالعلاقة بين التجديد والحضارة هي علاقة العلة بالمعلول والشرط بالمشروط والنتيجة بالسبب، إذ أنه لا حضارة في غياب التجديد الحضاري ولا تطور في الحضارة ذاتها في غيابه أيضا، لكن الدورة الحضارية التاريخية حسب "مالك بن نبي" وغيره قد تصل إلى مرحلة في التجديد والتطور تفقد فيها الحضارة قوتها وقدرتها على الاستمرار أمام طغيان الترف والبذخ بفعل قوة الشهوة والغريزة، فتتعرض الحضارة إلى الانهيار وينطفئ نورها. إنّ فيلسوف الحضارة "مالك بن نبي "درس فلسفة التاريخ والحضارة عند العديد من المفكرين، كما درس التاريخ الإسلامي وواقع المسلمين في عصره، وتوصل في النهاية إلى عدة أفكار وأراء ومواقف شكّلت في الأخير نظريته في الحضارة، والحضارة عنده ليست شكل من أشكال التنظيم للحياة الإنسانية لأن هذا يجعل الحضارة حالّة في أي مجتمع من المجتمعات النامية أو المتخلفة وبالتالي يتساوى التحضر مع التخلف والضعف مع القوة وهذا غير مألوف في منطق التفكير السليم. [1]

(1)جيلالي بوبكر سنّة التجديد: المدلول والمفاهيم المحايثة لها / مركز الأصالة للدراسات2011

إنّ ميلاد حضارة ما أو نهضة تاريخية معينة لا يكون من صنيع الصدفة أو التلقائية، بل وفق خطة واستراتيجية محددة هي استراتيجية البناء الحضاري أو النهضة الحضارية، هذه الإستراتيجية تتحدد فيها بدقة المبادئ والوسائل والسبل والغايات في البنية الحضارية كما تتحدد نقطة الانطلاق ونقطة الوصول في الحركة النهضوية، والتجديد الحضاري يشكل المحرك في هذه النهضة وجوهر البناء الحضاري ولبه لأنه عملية تنفيذ الخطة المحددة في استراتيجية البناء الحضاري، كما يمثل من جهة أخرى مظاهر الحضارة وعلاقات تظهر في كل طور من أطوارها وفي كل عنصر من عناصرها، كما تظهر في مبادئها وسبلها ووسائلها وغاياتها ومنتجاتها بشكل عام.

كل نهضة وكل حضارة وكل صحوة حضارية تشترط التجديد الحضاري باعتباره تغيرا في الإنسان والمجتمع، هذا التغير يحدث الحضارة ويصنعها كما يعمل على تنميتها وتطويرها، فهو شرط البناء الحضاري وشرط تطور الحضارة، فالحضارة الإسلامية قامت بعدما غيّر المسلم نفسه وعقليته ومحيط المجتمع الجاهلي، وزوده بالطاقة الروحية والرغبة في البناء فدفعته تلك الطاقة الروحية إلى الجهاد والأعمار وإلى العلم والبحث فتكونت العلوم والفنون .

فالتجديد الحضاري فعل إنساني مرتبط بقدرة الإنسان على الإبداع وإرادته في ذلك في مختلف المجالات يدخل في استراتيجية البناء الحضاري ككل بل هو جوهرها وروحها، ويكون وراء أي نهضة حضارية كما يلازم جميع أطوار الحضارة وقد يكون سببا في أفولها .

ومدلول التجديد الحضاري يأخذ عدة معاني ودلالات في فكر "مالك بن نبي"، فهو بمعنى البناء الحضاري إذ يحتاج إليه ميلاد أي حضارة، كما يعني تطور الحضارة واستمرارها وقد يكون سببا في أفولها كما تؤكد بحوث ودراسات تاريخ الحضارة، ويأتي بمعنى الإصلاح وإزالة المفاسد والعودة إلى حقل الحضارة، كما يعني البعث والإحياء، وهو في جميع الحالات شرط لقيام الحضارة وبناء المجتمع وتطويرهما والمحافظة على بقائهما [1]

(1)جيلالي بوبكر سنّة التجديد: المدلول والمفاهيم المحايثة لها .مرجع سابق.

المطلب الثاني : شروط التجديد الحضاري

بالنِّسبة لشروط التجديدِ الحضاري أو البِناء الحضاري محدَّدة في سائرِ كتابات "مالك بن نبي"، خاصَّة في كتابه "شروط النهضة "نذكُرها، وهي خمسة:

1- **العُدَّة الدائمة:** تتكوَّن هذه الثروة الإنسانيَّة مِن الإنسان والتراب والوقت، فالحضارة بسائرِ منجزاتها ومنتجاتها الفِكريَّة والماديَّة تُرد في أصلها إلى "العُدة الدائِمة"، وأيُّ منتوج حضاري هو حصيلةُ تآلُف بين العناصر الأوليَّة الثلاثة، فالمصباح الذي نستعمله في الإنارةِ هو منتوج حضاري، أنجزتْه جملةٌ مِن الأفكار تطوَّرت مع الزمن عند الإنسان، الذي يمثِّل العنصر الأوَّل الذي يدخُل في إطار التدخُّل البشَري الفِكري واليدوي، ابتداءً مِن أوَّل إنسان فَكَّر في المصباح وصنَعه، إلى "إديسون "مخترِع المصباح الكهربائي، أمَّا التراب فهو العُنصر الثاني، فيمثِّل المادةَ الأوليَّة التي تقوم بمهمتَي الوصل أو العزْل، والزَّمن هو الذي تَجري فيه عمليةُ الإنجاز والبِناء لأيِّ ناتج حضاري. [1]

2- **الفِكرة الدِّينيَّة:** يرَى "مالك بن نبي "أنَّ الحضارة ليستْ وليدةَ الجغرافيا والمناخ في صورةِ التحدي والاستجابة، ولا العامل الاقتصادي، بل تصنعها فكرةٌ دينيَّة ومبدأ أخلاقي مِن خلال التأليف والتوحيد بيْن عناصرها الثلاثة: الإنسان التراب والوقت، فتشكل الفِكرة الدِّينيَّة المركَّب في كلِّ تجديد حضاري أو نَهضة حضاريَّة، فهي "تتدخَّل إمَّا بطريقة مباشِرة، وإمَّا بواسطة بديلاتها اللادينيَّة نفسها في التركيبة المتآلِفة لحضارةٍ ما وفي تشكيل إرادتها"[2]، وإذا كانَ للحضارة عمرٌ كعمر الطفل، فإنَّ المهد الذي تولَد فيه هو الفِكرة الدينيَّة. فتأثير الفِكرة الدِّينيَّة في الرُّوح الفرديَّة والرُّوح الاجتماعيَّة هو الذي يُحدِث الدوافع والأسباب في رُوح الفرْد والمجتمع إلى النهوض، ويكون هذا الحال وراءَ كلِّ تجديد حضاري، وخَلْق كلِّ حضارة، وأساس حرَكة الإنسان في التاريخ.

---

(1)شروط النَّهضة، مرجع سابق ص: 89

(2)آفاق جزائريَّة، ص: 83

3- التغيير :

إنَّ التغييرَ الذي يعرِفه التاريخ ويمسُّ حياةَ الفرد والمجتمع والأمَّة هو جوهرُ ولـبُّ عمليـة التجديد الحضاري، قبلَ الحضارة وخلالها وبعدها، وكما يكون التغيير شرطًا لازمًا لبناء الحضارة، فهو شرْطُ كلِّ تطور حضاري، وشرْط كلِّ عملية إصلاح أو بَعْث وإحياء، وكما يكون التغـيير شرْطَ البناء الحضاري، فقدْ يشرف على هدْمِ هذا البناء وإزالته، و"مالك بن نبي "يضَـع التغـييرَ كفاعلية إنسانية فرديَّة واجتماعيَّة وأمميَّة وراءَ كلِّ نهضة.

تناول "مالك بن نبي "مبدأَ التغيير كقاعدةٍ عامَّة في كلِّ حركة تاريخيَّة حضاريَّة، فهو يلازم كلَّ عملية مِن شأنها أن تجدِّد أو تطوِّر أو تصنع التقدُّم والإبداع في مختلف مجالات حياةِ الإنسان الفكريَّة والاجتماعيَّة والماديَّة.

4- البناء لا التكديس :

تَشترط الحضارةُ العاملَ الرُّوحي - الفِكرة الدينية - الذي يدفَع الإنسـانَ ليتحـرَّك في التاريخ ويغيِّره، ويركّب بين عناصر "العدة الدائمة"، كما يتطلَّب التغيير في كلِّ مرحلة من مراحل التحضر وفي كلِّ طَور من أطوار التجديد، فتَقتضي الحضارةُ تجنُّبَ الاتكال على الغير، وتحاشـي أسلوب الاستيراد والتكديس، فلا يتحضَّر شعب إلاَّ إذا امتلك وعيًا حضاريًّا يميِّـز بـيْن البنـاء والتكديس، وبيْن الإنتاج والاستيراد، "فالبناء وحْدَه هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس، ولنا في أُمم معاصرة أُسوةٌ حسنة، إنَّ علينا أن نُدرِك بأنَّ تكديسَ منتجات الحضـارة الغربيـة لا يـأتي بالحضارة."

إنَّ عملية إنشاء الحضارة لا تتمُّ بشراء كلِّ منتجاتها وتكديسها؛ لأنَّ ذلك مسـتحيل مِـن حيث الكمُّ والكيف معًا، فالحضارة لا تَبيع كل منتجاتها مرةً واحدة، فهـي لهـا رُوح وأفكـار وأذواق خاصَّة بها تبقَى لها[1].

---

(1)شروط النهضة، مرجع سابق (ص: 2

5- التوجيه:

إنَّ صناعة التاريخ تتمُّ تبعًا لتأثير طوائفَ اجتماعيَّةٍ ثلاثة:

أ -تأثير عالَم الأشخاص.

ب -تأثير عالَم الأفكار.

ج -تأثير عالَم الأشياء.

هذه العوالِم الثلاثة لا تَعمل متفرِّقة، بل تتوافَق في عملٍ مشترَك تأتي صورتُه طبقًا لنماذجَ أيديولوجيَّة مِن "عالم الأفكار"، يتمُّ تنفيذها بوسائل مِن "عالم الأشياء"؛ مِن أجل غاية يحدِّدها "عالم الأشخاص.""التغيير التاريخي مِن إنتاج العوالِم الثلاثة، ووحدة التغيير التاريخي ضروريَّة، فإنَّ انسجام وَحدة التغيير التاريخي مع الغايةِ ،لان ذلك يجسِّد الحضارةَ في الواقع، غير ان هدا الشرط يقتضي شرط ثالث هو شبكة العلاقات الاجتماعية "[1]

(1)**جمال بروال الدورة الحضارية فكر مالك بن نبي وازوالد اشبنجلر** مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في فلسفة الحضارة جامعة حاج لخضر باتنة 2013 ص258

المطلب الثالث : أبعاد التجديد الحضاري

لكل موضوع يقوم بوظيفة في حياة الفرد والمجتمع أبعاد يرتبط بها تمثل دوافعه ومبرراته كما تشكل أهدافه والغايات التي وجد لأجلها، وبعد أي شيء يتعلق بوظيفته وأسباب وجوده القبلية والغائية، وللتجديد الحضاري عند "مالك بن نبي" أبعاد مختلفة تتعرف عليها في هذا المطلب

1- البعد الإنساني

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾[1] .

يتضح من الآية الكريمة أنّ الله خلق الإنسان وبقية المخلوقات الأخرى وخص الإنسان وحده بالتكريم والتفضيل، فوهبه العقل والقدرة على الإبداع والتجديد، أي القدرة على بناء الحضارة، ومن هنا يتجلى البعد الإنساني في الحضارة والتجديد الحضاري.

لقد وُهب الإنسان الشروط التي تضعه في أعلى درجة في هرم المخلوقات من خلال امتلاكه لكافة عوامل وعناصر التحضر، فهو ينشأ الحضارة بالعقل والقدرة على الإبداع وله القدرة في أن يتأثر بغيره ويؤثر في غيره من خلال استعماله للغة وسيلة التواصل. فالطبيعة البشرية وما تتوفر عليه من دوافع فيزيائية ونفسية وعقلية وأخلاقية واجتماعية هذه الدوافع تتحول إلى فاعليات قوية تخط طريقها نحو التجديد الحضاري، فتصبح الحضارة ظاهرة إنسانية تكرس رسالة الإنسان في هذا الوجود كما تميزه عن غيره من المخلوقات التي لا تشهد الحضارة إطلاقا، وهي من خلال عناصرها وشروطها ومنتجاتها تجسد القيّم الإنسانية هذه القيّم لا تكون في غير العالم الإنساني مثل التفكير، الحرية، التعاون، التحضر إلى آخره. وانهيار الحضارة يعني انهيار القيّم الإنسانية وسقوط الإنسان إلى مرتبة تسيطر فيها الأهواء والشهوات والملذّات. فالتجديد الحضاري ذو أبعاد إنسانية في منطلقاته ومبادئه وشروطه وعوامله وفي إنجازاته ونتائجه على الفرد والمجتمع معا.

إنّ التجديد الحضاري ينطلق ويبدأ في بناء الحضارة عندما يتحرك الإنسان ليدخل إلى التاريخ، لأنّ التجديد الحضاري حركة إنسانية تنطلق من نقطة ما لتصل إلى أخرى داخل مجال التاريخ، فالتاريخ هو الذي يسجل هذه الحركة منذ انطلاقها ويسجل مراحلها وكل ما يصيبها

---

(1)قرآن كريم: سررة الإسراء،الآية 70

ويطرأ عليها من تغيرات إلى غاية وصولها "من الملاحظات الاجتماعية أن للتاريخ دورة وتسلسل، فهو تارة يسجل للأمة مآثر عظيمة ومفاخر كريمة وهو تارة أخرى يلقى عليها دثارها ليسلمها إلى نومها العميق ."[1].

2- البعد الاجتماعي

إنّ البعد الاجتماعي لأي تجديد حضاري ولأية حضارة يحدد بحاجة الفرد إلى الاجتماع الإنساني، فالفرد قوي داخل الجماعة ضعيف خارجها، فهو لا يستطيع أن يوفر لنفسه كل ما يحتاج إليه من ضروريات وكماليات ولا يقدر على بناء الحضارة بمفرده، وبالمقابل فالاجتماع البشري في حاجة إلى الفرد لأن الاجتماع ذاته هو اجتماع أفراد يجمعهم حاضر واحد ومصير واحد، فتتوحد الجهود وتتحدد الغايات والسبل والوسائل وتتحد لضمان حياة اجتماعية، هذه الحياة الاجتماعية في حاجة إلى علاقات تنظم حياة الأفراد داخل الاجتماع، فيصبح الاجتماع في حاجة إلى النظام فيتشكل المجتمع، والمعنى الأدبي الذي يعطيه القاموس للمجتمع هو"تجمع أفراد ذوي عادات متحدة، ويعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة ."[2] التغـــــــــــــــــــــــــــــــــيير "

والواقع أنّ حركة المجتمع التي تحدث التغير والتطور تمثل حركة التجديد الحضاري في التاريخ، هذه الحركة هي التي تبني المجتمع وتصنع الحضارة وتحدث التطور التاريخي، وحركة المجتمع تميز بين المجتمع وأشكال الجماعات الإنسانية التي لا توصف بالمجتمعات التاريخية الحضارية، فهي "تكسب الجماعة الإنسانية صفة "المجتمع" عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة ."

يتضح مما سبق أنّ الحضارة تشترط المجتمع والمجتمع يشترطها، وانهيار حضارة أي مجتمع هو انهيار للخصوصيات التي يتميز بها هذا المجتمع، وأي اجتماع بشري بدون حضارة يغلب عليه الطابع البدائي ويسوده قانون الغاب وتحكمه الهمجية، فالحضارة هي التي تحمي المجتمع من الهمجية، ويؤيد تاريخ الحضارات ما يذهب إليه "مالك بن نبي"، فالعرب في الجاهلية كانوا بدوا

(1)شروط النهضة، مرجع سابق ص69

(2): ميلاد مجتمع، مرجع سابق ص13

رحلا تسيطر عليهم الوثنية والنعرة القبلية ووأد البنات وغيرها من العادات الفاسدة، فإذا بالإسلام يبعث فيهم روح التآلف ويدفعهم إلى التحضر، فكان لهم ما هو معروف من حضارة، ففي مجتمع الحضارة يتوفر مناخ الحرية والحماية للفرد، وتقدم الحضارة لأبنائها كل ما يحفظ وجودهم ويقيهم من الانحدار في مختلف مجالات الحياة الفكرية والاقتصادية ."[1]

3- البعد الأخلاقي

ونعنى بالأخلاق: قوة التماسك اللازمة للأفراد ، هذه القوة التي استطاعت بناء المجتمع الإسلامي الأول ، وبعض هذه الأخلاق كانت من أسباب بناء المدنية الغربية ، والشباب اليوم ينظرون إلى هذه المدنية في يومها الحالي ويضربون صفحاً عن أمسها الغابر ينسون أنه لولا صلات اجتماعية خاصة ما قامت هذه الصناعات ولما قام هذا العلم ، ونظرة إلى جامعة من جامعاتهم ترينا أن أساسها كان دينياً قامت به جمعية خيرية دينية ، بل إن كلمة دين عندهم (Religion) تعني في أصلها اللاتيني الربط والجمع[2]

تؤكد دروس تاريخ الحضارة أنّ كل حركة تجديد حضاري تنطلق داخل المجتمع والتاريخ بتوجيه أخلاقي وضوابط أخلاقية، فالمجتمع في حاجة إلى قوة تماسك لأفراده لممارسة التجديد الحضاري وبناء الحضارة.

يبيّن لنا "مالك بن نبي" البعد الأخلاقي للتجديد الحضاري والحضارة من خلال ما يلي :"1- إنّ مجتمعا معينا لا يمكن أن يؤدي نشاطه المشترك دون أن توجد فيه شبكة العلاقات التي تؤلف عناصره المختلفة النفسية والزمنية.

-2وأنّ كل علاقة هي في جوهرها قيمة ثقافية يمثلها القانون الخلقي والدستور الجمالي الخاص بالمجتمع ."

---

[1] أسعد السحمراني مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً: ، مطبعة دار النفائس ط2، 1986م.ص143

(2)شروط النهضة مرجع سابق ص134..

4-البعد الجمالي:

إنّ الإطار الحضاري بكل محتوياته -كما يؤكد على ذلك ابن نبي- متصل بذوق الجمال، فالجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أي حضارة[1]، وحتى يخرج المجتمع من فوضاه وركوده يجب أن يولي أهمية بالغة لشعيرة الجمال ويبث معناها في سائر وجوه النشاط الإنساني، في الملابس والعادات وأساليب المشي.. بل حتى في طريقة زراعة محصول ما في تربة أحد الحقول([2])، لأنّ ذوق الجمال يحرك الهمم ويخلق في النفس ديناميكية محركة .ولو تمعنا في واقعنا الاجتماعي المأزوم سندرك إلى أي حد وصل تفريطنا في هذه الشعيرة المهمة التي أوصى بها الإسلام عندما اعتبر الطهور شطر الإيمان والتي كان نبي الإسلام أكثر الناس حرصاً عليها حتى في غزواته عندما كان يحمل معه مشطه وسواكه، ويهتم بتسوية مظهره ويربي غيره على أن يجسدوا شعيرة الجمال في الباطن والظاهر.

5- البعد الروحي الديني

الأرضية والمرجعية لجميع الأبعاد المختلفة حسب "مالك بن نبي" وهو البعد الروحي الديني، فالعلاقات الاجتماعية المتضمنة للقيم والقوانين الأخلاقية وحتى الجمالية هي من صنع علاقة روحية بين الله وبين الإنسان، وهي التي تكون وراء ميلاد أي مجتمع يدخل التاريخ ويصنع التجديد الحضاري ويبني الحضارة "فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شريعة ومنهجا"

.والحضارة الإسلامية من إنتاج الوحي الإلهي، الذي هبط من السماء على "محمد صلى الله عليه وسلم" فكان ذلك الوحي شريعة ومنهاجا سار عليه المسلمون ولازال حتى الآن.

يؤيد "مالك بن نبي" فيلسوف الحضارة والتاريخ "كسرلنج" في أن دورة الحضارة تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية أو مبدأ أخلاقي ما، وتنتهي هذه الدورة عندما تفقد روحها تماما وتفقد ذلك السلطان الذي كان لها على الشهوات والغرائز المكبوحة، فالحضارة المسيحية وليدة الروح المسيحية والحضارة الإسلامية وليدة الروح الإسلامية وهكذا مع بقية الحضارات للأخرى. [3]

---

(1)**مالك بن نبي، القضايا الكبرى**، ص82.

(2)المرجع نفسه، ص86.

(3جيلالي بوبكر)**سنّة التجديد: المدلول والمفاهيم المحايثة لها** / مركز الأصالة للدراسات2011

المبحث الثاني : معالم مدرسة التجديد عند مالك بن نبي

المطلب الأول :النـــزعة التقويمية للحضارة الغربية

ليس من شك أن قصورا بارزا ظل يطبع آراء حركات الإصلاح الدينية المعاصرة في فهـــم الحضارة الغربية فهما عميقا، حيث تمركزت نظرتهم حول النـــزعة العدائية التي راحت الحضـــارة الغربية تبثها ضد الشعوب والأجناس الأخرى، لذلك أولى المفكرون الإصلاحيون عناية فائقة بآراء المفكرين الغربيين الذين يتناولون بالنقد النظامين الرأسمالي والاشتراكي دون سواهما، أو يـــبرزون الوجه المظلم للحضارة الغربية مثل تفشي حالات الانتحار، أو الإدمان على المخدرات أو الجرائم، أو تفشي حالات الأمراض النفسية والعصبية، ناهيك عن نزوع الغرب نحو التسلح بامتلاك القنابل الكيميائية والنووية وما يتهدد العالم من حرب مدمرة.

إن من أهم مصائبنا اليوم نابعة عن قصور في فهمنا لحقيقة هذه الحضارة وما تملكه، وقـــد لاحظ كل من مالك بن نبي والمسيري هذا القصور في فهم الحضارة الغربية وحذرا من عواقبـــه، فالغرب ليس مفهوما مطلقا بل هو مسألة نسبية،كما يقول مالك بن نـــبي، فـــإذا أدرك الفكـــر الإسلامي المعاصر هذا فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيه، كما سيتعرف علـــى عظمته الحقيقية، وبهذا تصبح الصلات والمبادلات مع هذا العالم الغربي أعظم خصبا، بحيث تظفر الصفوة المسلمة إلى حد بعيد بمنوال تنسج عليه فكرها ونشاطها[1]

نعني بالنـــزعة التقويمية للحضارة الغربية ذلك الإدراك الواعي بحقيقة الحضارة الغربية مـــن خلال إفرازاتها الحضارية المتعددة الأبعاد في العصر الحديث ومدى انعكاساتها على ذلك العصر.

إن معرفة على هذا المستوى تتطلب معايشة هذه الحضارة لفهم تركيبتها وأنماطها، وقد كان لكل من بن نبي حظ وافر في معايشة هذه الحضارة، والفكر الإسلامي المعاصر في أمس الحاجـــة للاستفادة من هذه التجارب الحية بعيدة عن الأحكام المسبقة والمتشنجة.

---

(1)مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص138.

المطلب الثاني - النـــزعة العدوانية

أظهر تيار التجديد الحضاري مهارة فائقة في تشخيص النفسية الأوروبية وفهم أغوارهـــا، يتفق مالك بن نبي وعبد الوهاب المسيري على أن نزعة عدوانية تسري في عروق الحضارة الغربية تجاه الآخرين وهي نتاج ترسبات لأحداث تاريخية .يشير إلى هذا المعنى الأستاذ مالك بن نـــبي في قوله: "أما فيما يتصل بأوروبا فان ما ألصقته القرون بعاداتها وصبغت به حياتها يشق على الاتجـــاه الجديد أن يعدل حرفه"، ويرجع مالك ذلك إلى النفسية المركبة للأوروبي من التراكمات التاريخية لعلاقة الأمم.

وهنا يتحدث مالك عن الغرب الاستعماري وأن العدوان والعنصرية متأصلة فيه، ومـــن ناحية أخرى لا بد أن نبين للناس – أيضا- أن المنظومة الحداثية مرتبطة بالاستهلاكية والتوجه نحو اللذة. وقد تمكن الإنسان الغربي أن يحقق معدلات عالية من الاستهلاك واللذة، مرة أخرى، عـــن طريق النهب الاستعماري، تلكم مأساة الحضارة الحديثة في عمقها كما يذكر بن نبي فان الضمير الحديث لم يتمثل بعد أغلب ما حققه العلم من مخترعات كما أكد مالك بن نبي أن خطر هـــذه النـــزعة يلحق أضرارا بالغة للحضارة.

إن هذا الاتجاه لا يحصر خطر هذه النزعة على الإنسان المسلم فحسب وإنما خطرها يمـــس الإنسان من حيث هو إنسان، حتى الإنسان الغربي يلاحقه خطرها، هذا ما أقره الأستاذ بن نـــبي، فالاستعمار إذا كان قد ألحق ضررا بليغا بالبلدان المستعمرة فانه قد أضر كذلك بالحياة الأوروبية ذاتها، لأن الاستعمار الذي يهلك المستعمرين ماديا، يهلك أصحابه أخلاقيا.

وهنا يدق مالك بن نبي ناقوس خطر الحضارة الغربية على العالم إذا اســـتفزت أفكارهـــا وأساطيرها لأن أثره عالمي، كما يؤكد مالك أن التهور الأوروبي تهور ذو دوي وضجيج، بل أن الأساطير الأوروبية نتائجها وخيمة ومهلكة، لأن المادة في قبضتها تتصرف فيها كما تشاء، ومادام الأمر كذلك فيوشك أن تهدم كل شيء بطريقة علمية، فتنسف بقنابلها الذرية البلاد والعباد[1].

(1)مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص141.

المطلب الثالث :النـــزعة العلمية

رغم النـــزعة العدوانية التي طبعت الحضارة الغربية في تعاملها مع المجتمع الإسلامي إلا أنه لا يمكن لهذا المجتمع أن يغض الطرف عن ما تميزت به هذه الحضارة من نزعة علمية، يقول مالك بن نبي فإذا ما أدرك العالم الإسلامي أن صدق الظواهر الأوربية مسألة نسبية، فسيكون من السهل عليه أن يعرف أوجه النقص فيها،كما سيتعرف على عظمتها الحقيقية، وبهذا تصـــبح الصـــلات والمبادلات مع هذا العالم الغربي أعظم خصبا، بحيث تظفر الصفوة المسلمة إلى حد بعيد بنمـــوذج تنسج عليه فكرها ونشاطها.

يكمن الرصيد الحضاري للغرب وتفوقه في ثلاث كلمات: العلم والتقـــدم والحضـــارة، خطت منها أفكارا مقدسة سمحت لها أن ترسي داخل حدودها قواعد حضارة القرن العشرين وأن تبسط خارج حدودها سلطتها على العالم، زودتها بالفعالية [1] بالإجمال فإن أوروبـــا ركبـــت في مضمون ثقافتها مزيجا من الأشياء والأشكال التقنية والجمالية.

إلى جانب دعوة مالك بن نبي إلى الاستفادة بالتقنية الغربية كذلك يهيب بالأمة أن تأخـــذ بالجانب الجمالي الذي يميز هذه الحضارة، فهو لا يجد حرجا في الاعتراف بفضل زوجته الفرنسية التي أيقظت في نفسه الحس الجمالي والذوق الرفيع. ويبدو هذا متشابها عند الـــدكتور المســـيري عندما لاحظ أحد الصحافيين أثناء حواره للمسيري طريقة تصميم المنـــزل حيث أن غرفة الطعام كانت على الطراز الإنجليزي لكي يشير إلى أن في الغرب حضارة إنسانية أيضا.

إن العالم الإسلامي لا يمكنه أن يعيش في عزلة وانطواء، فليس الهدف أن يقطع علاقتـــه بحضارة تمثل وتشكل إحدى التجارب الإنسانية الكبرى، بل المهم أن ينظم هذه العلاقات معها. [2]

---

(1)مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق ص102..

(2). عبد القادر بخوش-معالم مدرسة التجديد الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر1 - مالك بن نبي نموذجا مجلة المسلم المعاصر. لبنان العدد 2008129

المبحث الثالث :الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي في العالم الإسلامي المعاصر

المطلب الأول : الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي

تقوم فلسفة الإصلاح والتجديد عند "مالك بن نبي" على أنّ مشكلة كل شعب من الشعوب أو أمة من الأمم هي مشكلة حضارة لا غير، هناك الأمة المتحضرة التي تنعم بالسمو الروحي والأخلاقي، والتطور الفكري والعلمي، والازدهار والنماء الاقتصادي، والانسجام والتناسق الاجتماعي، ينال فيها كل فرد مطالبه وحاجاته كما يقوم بواجباته وما عليه نحو مجتمعه، وهناك تجمع إنساني يفتقر تماما إلي عناصر الحضارة ومعالمها، تسوده الهمجية والفوضى والتوتر، فيه يأكل القوي الضعيف، ويحكمه "قانون الغاب"، والعالم الإسلامي شهد حضارة راقية بلغت أوجها وأسدل عليها الستار بعد عهد الموحدين، وهو يعيش حاليا في التخلف والانحطاط في مختلف جوانب الحياة، أما العالم القوي الحديث فيحيا حضارة راقية في منتجاتها العلمية والفكرية والتكنولوجية، أثرّت على حياة المسلمين والشعوب المتخلفة الأخرى، طبعتها بطابعها على الرغم من كونها تنطوي على أشياء تتعارض مع القيم والانتماءات الذاتية للشعوب المتخلفة، وخاصة الشعوب الإسلامية .

يمكن اعتبار الإطار العام لفكر مالك بن نبي مسألة الحضارة. فقد عنون جميع مؤلفاته تحت شعار كبير هو "مشكلات الحضارة". و تكاد محاوره الفكرية تكون واضحة من خلال العناوين الفرعية التي اختارها لكتبه التي تزيد عن العشرين كتابا. وقد تبلورت أفكار مالك بن نبي في مصطلحات علمية معدودة تعتبر مفاتيح كل إنتاجه الأدبي. فالحضارة بداية هي عبارة عن معادلة رياضية من ثلاثة متغيرات هي التراب و الإنسان و الزمن. فكل حضارة على وجه الأرض – الماضي منها و المستقبل– ما هي إلا صياغة متميزة لهذه المعادلة. لكن التفاعل بينها لا يكون إلا بفكرة دينية تلعب دور الوسيط الكيميائي بين أطراف المعادلة. [1] و يجب فهم مصطلح الدين هنا

1– مصطفى بن حموش .دورة الحضارة في فكر مالك بن نبي .جامعة البحرين ص3

بمعناه الواسع الذي قد يشمل أية عقيدة أو أيديولجيا أو مبدأ أخلاقي. و بذلك يمكن اعتبار الاشتراكية و الليبرالية و الديمقراطية أديانا جديدا، كونها ترتقي عند أصحابها إلى درجة التقديس و تتفاعل مع وجدانهم و تدفعهم إلى بذل كل جهد لتحقيقها كغاية سامية. [1]

و يعتبر مالك كغيره من المؤرخين ابتداء من ابن خلدون إلي الإنجليزي توينبي أن للحضارة دورة كاملة تتكوّن أساسا من ثلاثة مراحل مثلما هو حال البشر. فمرحلة النشأة تتميز بميلاد فكرة سامية أو مثل عال يكون مناصروه في أوج عطاءهم الوجداني و العاطفي، و ذلك لما لهم من محفِّزات نفسية قوية تدفعهم للتضحية و البذل، ثم يتبع ذلك مرحلة الازدهار التي يكون الرجحان فيها للعقل حيث تنمو العلوم و تزدهر الحياة المادية بالعمل و الجد و الوفرة، و أخيرا تأتي مرحلة الهرم الحضاري التي تتغلب عليها نزعة الشهوة الجسدية و الغرائز الطبيعية، حيث تدخل الأمة مرحلة الاستهلاك المحض لمنجزاتها الحضارية. و هنا تكون الحضارة عاجزة عن إصلاح نفسها رغم ما تراه من سير نحو الفناء و الاندثار. و لذلك فإن أية أمة و أي شعب يمكن تصنيفه من حيث موقعه من الدورة الحضارية. و قد تكون بعضها بهذا التصنيف خارجة عن دورة الحضارة. و لكون فكر مالك بن نبي قد انصب في الغالب على الأمة الإسلامية و العرب، فإنه يرى أن تاريخنا يمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل. فالأولى مرحلة ما قبل معركة صفين التي كانت الأمة فيها مشحونة بالإيمان و القيم الروحية، و الثانية هي ما بعد هذه المعركة التي دخلت فيها نزعة السلطة و التنافس المادي و انقلبت فيها السلطة إلى ملك عضوض، و التي امتدت رغم ذلك بحكم العقل إلى عهد ابن خلدون و استلام دولة الموحدين الحكم، و الثالثة هي ما بعد الموحدين أو المرحلة التي انتهى فيها الإبداع و استسلمت الأمة لغرائزها، و استهلكت فيها مكتسباتها و ضاعت منها حوافزها النفسية و مبررات وجودها. و ذلك ما كان إيذانا بخروجها من دورة الحضارة.

و من نتائج هذه النظرية لدى مالك بن نبي تقسيمه للمحيط الحضاري إلى ثلاث عوالم هي عالم الأفكار و عالم الأشخاص و عالم الأشياء، التي قد تكون تنطبق على المراحل الثلاث من

1- مصطفى بن حموش .دورة الحضارة في فكر مالك بن نبي .مرجع سابق ص3

الحضارة. و يبني مالك بن نبي على هذه التقسيم أفكاره في تشريح حالة الأمة و تشخيص أمراضها. فأكبر مشكلة تعانيها هي مشكلة التقصير في إنتاج الأفكار. و لذلك هي حاليا منغمسة إما في التعلق بالأشخاص و تأليههم و إما في الحالة الأسوأ بالأشياء. و لذلك يمكن تسمية الحالة الأخيرة بحضارة الأشياء التي تنحو فيها الأمة -بما لها من خيرات و سيولة مالية- إلى تكديس الأشياء ظنا منها أنها باقتنائها تلك الأشياء ستنضم إلى ركب الحضارة الغربية. و الواقع أنها أصبحت بمفهوم العصر سوقا للبضائع لتغلب اقتصاد البازار على مسيرتها التنموية المزعومة. و بشيء من الاستعارة الأدبية يضرب مالك بن نبي المثل في بناء المسكن الذي يستحيل بناؤه بمجرد جمع الرمل و الإسمنت و الحديد و الحجارة و باقي مواد البناء لأن البناء يتطلب أفكارا هندسية و تخطيطا يبعث التفاعل الكيميائي الحي بين هذه الأشياء. [1]

1-)مصطفى بن حموش .دورة الحضارة في فكر مالك بن نبي .مرجع سابق ص4

المطلب الثاني : مكانة مالك بن نبي في الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي المعاصر

إنّ وزن المفكر أو الفيلسوف بين المفكرين والفلاسفة يصنعه فكره وتحدده فلسفته، و"مالك بن نبي" واحد من المفكرين والفلاسفة ذكرته نظريته في الحضارة، صنع مكانته فكره الإصلاحي المتميز، فتألق نجمه في سماء الحركة الإصلاحية التجديدية في العالم الإسلامي المعاصر، وذاع صيته خارج العالم الإسلامي، وصار واحدا من كبار قادة الفكر ورواد الفلسفة، في عصرنا هذا. اعتنى بفكره وفلسفته العديد من الباحثين، بعضهم يدرس ويحلل ويدافع، وبعضهم ينقد ويقوّم، وأهمية هذا الفكر وهذه الفلسفة والعناية بها والوقوف عليها بالتحليل والتقويم كل هذا يعود إلى كونه فكرا اعتنى بقضية الحضارة، ومسألة البناء التاريخي .

يذكر العديد من المفكرين فكر وفلسفة ومنهج "مالك بن نبي" وينعتون ذلك بالقوة والمتانة والدقة واليقين، وهذا "الأستاذ راشد الغنوشي" يعتبر مالك بن نبي" "مدرسة في الفكر الإسلامي الحديث، لم ينصب فكره على النص الإسلامي، وإنّما على مناط تطبيقه على المجتمع من إعادة بناء الحقيقة الموضوعية في نظر العقل السلم، بالكشف عن سنن البناء الحضاري وتطوره في اتجاه القوة والضعف... فمالك يرى أن الحضارة ليست نظرية في الفلسفة وفي المعرفة عامة مهما كانت جميلة ومتناسقة حتى ولو كان الإسلام ذاته، وإنما الحضارة إنجاز في عالم الزمان والمكان، ثمة تفاعل فكرة مع واقع بحسب شروط موضوعية لا تتخلف ."[1]

يصف شخصية "مالك بن نبي" وخصاله أحد تلاميذه المقربين "الأستاذ عمّار طالبي" وقد اتسم فيما يرى التلميذ أستاذه "بفكر حاد، و ذهن نفاد يعاني و يفكر ففكره فكر حي، فعال مركز، تغلب عليه الصور العقلية، لا الصور اللّفظية، فيما يتكلم و فيما يكتب. يشعر في أعماقه بأن له رسالة وبالرغم من الصعاب التي واجهته في حياته الشاقة، فإنه لم يتزلزل في يوم، و لم يشعر بأن عليه أن يترك رسالته، و يلقي بعبئها، وشخصيته شخصية أخلاقية ملتزمة بالأخلاقية الإسلامية الصافية، ذو أصالة وهمّة عالية، و أنفه شامخة، عوده لا يلين في الحق، و قلبه لا يخشى فيه لومة

(1)محاضرة جيلالي بوبكر أستاذ محاضر بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر

لائم، و لعل تكونيه الرياضي والعلمي وسمه بالوضوح، لا لبس فيه، وذلك في يقيني ما أصّل فيه فضائله العقلية ورسّخ ميزاته الأخلاقية ."

تألّق نجم "مالك بن نبي" في فضاء فلسفة الحضارة في عصرنا الحاضر، و"طرح أفكارا أو فرضيات كثيرة في غاية الأهمية، لكن الثقافة الفقهية والوعظية والمنهجية الآلية أو الحرفية في التعامل مع الوحي والواقع والتراث والمستقبل ...همشّت هذه الأفكار الجنينية الهامة وحرمتها من النمو الطبيعي، واستكمال نضجها، وإفادة الأمة بها، في وقت هي أشد ما تكون احتياجا إليها .وبهذا وقع له مثلما وقع لابن خلدون قبله عندما لفّه ليل الانحطاط الحضاري، و لم تمكن ظروف الأمة أفكاره الجديدة من النمو والتبلور والنضج والتمثل في واقع الأمة. وللعلماء الاجتماعيين المسلمين مسؤولية كبيرة في ربط حلقات هذه المدرسة الحضارية، ومواصلة تأكيد حضورها، وتحويلها إلى محور ارتكاز أساسي في المنظومة الثقافية للحركة الإسلامية والأمة عامة، باعتبارها المصب الحتمي لبقية الروافد الفكرية الأخرى في عملية البناء الحضاري ."[1]

يذكر خصاله العديد من الباحثين والمفكرين، فهو عندهم "ليس كاتبا محترفا، أو عاملا في مكتب مكبّا على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شَعَرَ في حياته الخاصة بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقية و الاجتماعية .

يحتل فكره مكانة بارزة في الحركة الإصلاحية الإسلامية المعاصرة، وتمثل نظريته في الحضارة والتاريخ اجتهادا في الفكر والفلسفة لم يسبق إليه أحد قبله، انبثق هذا الاجتهاد الفلسفي من الإسلام والفكر الإسلامي وواقع العالم الإسلامي والشعوب المتخلفة عامة من جهة، ومن الحضارة الغربية والفكر الغربي من جهة ثانية، إن مالك بن نبي يمثل بحق رائد فكر وصاحب تجديد وواحدا من كبار دعاة الإصلاح والتجديد والحضارة .[2]

---

(1)**محاضرة جيلالي بوبكر** مرجع سابق .

(2)مرجع نفسه.

المطلب الثالث : موقف مالك بن نبي من حركة الإصلاح الحديثة

يرى مالك بن نبي أن الأزمة الحضارية التي لحقت العالم الإسلامي،دفعت ببعض رجال الإصلاح إلى محاولة معالجتها ، بغية الخروج من حالة التخلف والانحطاط والضعف، إلى حالة التحضر والرقي والقوة. إلا أنه يقف موقفا واعيا نقديا تجاوزيا من طريقة طرح الحركة الإصلاحية الحديثة لازمة العالم الإسلامي ،وكيفية معالجتها ، فيقبل بعض أفكارها وتصوراتها ويرفض بعضها الآخر.

ورغم انتقاده لمعظم حركات التجديد في العالم الإسلامي، إلا أنه يعتبرها أساسا هاما في إصلاح ما يعانيه العالم الإسلامي من استعمار وفساد، فعند حديثه عن التجربة الوهابية يقول ..." **الوهابية تعني في نظري الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح بما فيها من طاقة متحركة لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ عهد ما بعد خلافة بغداد."...** [1] فالحركة الوهابية في اعتقاده ركزت على فكرة التوحيد ،وتنزيه العبادة مما لحق بها من تحريفات وتشويهات أفسدت عقيدة المسلمين.

ويقيم "مالك ابن نبي" جهود جمال الدين الأفغاني في الإصلاح ويعتبرها ذات أهمية،و هذا لما حققته في الواقع من نجاحات في بعض الميادين على اقل تقدير ... **"وهكذا كانت كلمة جمال الدين الأفغاني، فقد شقت كالمحراث في الجموع النائمة طريقها ،فأحيت مواتها ، ثم أبقت وراءها بذورا لفكرة بسيطة ، فكرة النهوض...بل غيرت ما بأنفس الناس ثم من تقاليد ،وبعثتهم إلى أسلوب في الحياة جديد"** [2]

وإذا لم تكن جهود "جمال الدين الأفغاني" مثمرة إلى الحد الذي كان يتوق إليه العالم الإسلامي، فإن قيمتها الأساسية تكمن في تلك الروح المتطلعة إلى التغيير ..."**:وإذا لم يكن جمال الدين قائدا أو فيلسوفا للحركة الإصلاحية الحديثة، فلقد كان رائدها ،حين حمل ما حمل من**

---

(1)مالك بن نبي : مذكرات شاهد القرن ، الطالب ، دار الفكر ، بيروت،1969، ص150.

(2)مالك بن نبي : شروط النهضة ، ت:عمر كامل مسقاوي ، عبد الصبور شاهين ،دار الفكر الجزائر، ط5، 1986، ص29

القلق ،ونقله معه أينما حلّ،وهو القلق الذي ندين له بتلك الجهود المتواضعة في سبيل النهضة الراهنة،وكان رائدها أيضا حين جاهد في سبيل إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي"... [1].

وفي سياق نقد مالك بن نبي للحركة الإصلاحية ،نجده يركّز على **ضرورة تغيير النفس البشرية** ، بدل النظم السياسية ، فهو يلقي باللائمة على رجال الإصلاح ،ويرجع عدم مقدرتهم على الانتقال بالعالم الإسلامي من حالة الركود إلى حالة التحضر ، بسبب تجاهل فكرة تغيير النفس البشرية، ولهذا نجده يقرن عملية بناء الحضارة وتغيير الواقع بمقدار تغييرنا لعالمنا الثقافي، فيذهب في كتابه وجهة العالم الإسلامي إلى القول..."**: أن الحركة الإصلاحية لم تستطع تغيير النفس الإسلامية، بل لم تستطع أن تترجم إلى لغة الواقع فكرة الوظيفة الاجتماعية للدين،...فإذا ما أريد للنهضة أن تبرز إلى عالم الوجود علينا أن نواجه مشكلة الثقافة في أصوله[2]ا."**فكل محاولة ـــ في رأيه ـــ لإعادة بناء حضارة الإسلام ،يجب أن تقوم أولا ،وقبل كل شيء على أساس سيادة الفقه الخالص على الواقع السائد ،الذي نشأ عن صفين ،ولا شك أن هذا

يصف مالك بن نبي المحدثين بأنهم لا يملكون فكرة النهضة ،وهي ليست من أولويتهم " أما المحدثون فقد انعدمت لديهم فكرة النهضة ذاتها، فأصبحت ثانوية ،لأنهم لم يخالطوا حياة بلادهم إلا في الميدان السياسي، فإن المسألة في نظر المحدثين لم تكن مسألة تجديد العالم الإسلامي وبعثه،وإنما كان انتشاله من فوضاه السياسية الراهنة، وهذه فكرة مستعارة لا ترى في الواقع مشكلة الفرد المسلم، بل ترى مشكلة النظم الأوروبية."[3]

---

(1)وجهة العالم الإسلامي مرجع سابق ، ص55

(2)المرجع نفسه ، ص62

(3)مرجع نفسه ، ص71

المطلب الرابع : إستراتيجية البناء الحضاري في فلسفة "مالك بن نبي

انّ إستراتيجية البناء الحضاري في فلسفة "مالك بن نبي" تُفند كليا ومطلقا ما تذهب فيه النزعة المركزية الأوربية من اعتبار الحضارة مرتبطة في أصلها ونشأتها بعنصر بشري معين وبجنس محدد له خصائصه البيولوجية لا توجد في غيره، وهي تقتصر على هذا الجنس، وإن وجدت ملامح التحضر خارج هذا الجنس فإنّها جاءت بفعل التأثر لا بفعل الإنتاج والإبداع .تمثل نظرية الحضارة في فكر "مالك بن نبي" مرجعية التجديد الحضاري الذي هو أساس كل بناء حضاري.

يُعدّ"مالك بن نبي" ممن تأملوا ودرسوا وانتقدوا تاريخ الأمة العربية والإسلامية وأوضاعها الحديثة والمعاصرة، وجددوا أمر فكرها وفلسفتها، بما دعا إليه من تجديد للتصور الإسلامي دينيا وفكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا، اقترن اسمه بالحضارة وبمشكلاتها وبنظرية الحضارة وبإستراتيجية البناء الحضاري، أسهم في فلسفة الحضارة وفي فلسفة التاريخ وفي العلوم الإنسانية المعاصرة برمتها، ومنطلقه في ذلك الدين والفكرة الدينية، لم تشغله منتجات الحضارة الأوربية المعاصرة المغرية الفكرية والمادية عن البحث والاجتهاد .

جعل "مالك بن نبي" العقل الطاقة البشرية الكامنة المتحركة والمتحررة والمنتجة في عالم الأفكار وفي عالم الأشياء، في عالم الثقافة وفي عالم الحضارة، وهي طاقة متفجرة باستمرار ودوما بالفهوم والإبداعات والعطاءات، وهو ما انتهى إليه أصحاب كل حضارة من الحضارات التي عرفها تاريخ الإنسانية، ومنهم مؤسسو الحضارة الإسلامية الذين تأثروا وأربوا وأبدعوا وأثروا فتحضروا لما أخذوا بأسباب التحضر وهي المهمة والرسالة والأمانة الملقاة على عاتق المسلم المعاصر .[1]

(1)جيلالي بوبكر موقع فكر مالك بن نبي في خطي الإصلاح وفلسفة التاريخ موقع الشهاب www.chihab.ne

تعكس فلسفة "مالك بن نبي" في تعاطيها مع الدين والثقافة والعلم والسياسة والتاريخ والحضارة عامة تفتح عقل عربي إسلامي المعاصر على هموم ومشكلات عصره، وعلى قضايا الثقافة والحضارة والأصالة والمعاصرة والثبات والتغير، وهي مشكلات الأمة وقضايا الإنسانية جمعاء، عقل همّه الأكبر ومشكلته العويصة محاربة التخلف والانحطاط، والأخذ بأسباب التحضر والتقدم والبناء الحضاري، عقل مبدع صاحب دين وفكرة دينية، وصاحب علم ونظرية علمية، وصاحب تقنية وصاحب فكر وفلسفة، عقل يعتبره بعض المفكرين المعاصرين همزة وصل بين النهضة والصحوة في سياق تاريخي جمع بين الماضي والحاضر والمستقبل، صاحب نسق فكري متكامل في التعاطي مع مشكلات الحضارة دينيا وفكريا وثقافيا وعلميا واجتماعيا وماديا واقتصاديا .

لقد انتبه "مالك بن نبي" إلى المشكلات التي يعاني منها الإنسان في عصره، ولاحظ أن المشكلة الكبرى في حياة الإنسان هي مشكلة حضارية، فدعا إلى البحث في الحضارة لمعرفة شروط قيامها وعوامل انهيارها، وقام بهذه المهمة الشاقة فانكب على دراسة التاريخ الإنساني بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص، كما درس واقع الشعوب والأمم المعاصرة المتحضرة والمتخلفة مركزا على واقع الشعوب العربية والإسلامية ومسلطا الضوء على واقع الجزائر وتاريخها بشكل خاص، وقد ساعده في ذلك إسلامه وإيمانه بقضيته ورسالته وتكوينه العلمي، فكان يحلل الوقائع والأحداث الماضية والحاضرة ويستخلص النتائج، كما كان يضع الفرضيات ثم يستدل عليها بالشواهد التاريخية والواقعية وتحليلها بأسلوب علمي فيه الدقة والضبط والإحكام والموضوعية والصرامة العلمية والمنطقية .[1]

إنّ العمل الذي قام به "مالك بن نبي" في حقل البحث تميّز بطابعه العلمي من جهة وبطابعه الفلسفي من جهة أخرى، فهو استطاع أن يضع نظرية في الحضارة ويقدم التجديد الحضاري في إستراتيجية لم يعرفها أحد قبله، إنّ نظريته في الحضارة تمثل إيداعا فكريا وفلسفيا

(1)جيلالي بوبكر موقع فكر مالك بن نبي في خطي الإصلاح وفلسفة التاريخ.مرجع سابق

وعلميا لا نظير له في عصرنا بما تميزت به هذه النظرية من دقة في طرح المشكلات وحصرها وعمق في التحليل وموضوعية في التصورات والتفسيرات وتنوع في المناهج والأساليب، فجاءت نظريته فلسفية وعلمية أخذت من الفلسفة القدرة على المشكلة والتحكم في التصورات والمفاهيم والقدرة على الاستشهاد وتبرير النتائج، وأخذت من العلم الدقة في الطرح والموضوعية في التحليل وانتهاج مختلف مناهج البحث العلمي وتميزت بحوثه بالنزاهة فلم يكن يطلب سوى الحقيقة لذاتها . استطاع أن يضع نظرية هي بمثابة إستراتيجية شاملة تحدد أسباب قيام الحضارة وشروط البناء الحضاري كما بيّن عوامل ردّة النهضة وأسباب التخلف والانحطاط .

إستراتيجية التجديد الحضاري عند فيلسوف الحضارة "مالك بن نبي "تحددها جملة من المفاهيم تمثل معجمية فلسفة الحضارة عنده، وكان قد أطلع على فلسفة التاريخ في الفكر الخلدوني كما اطلع على فلسفة الحضارة والتاريخ في الفكر الحديث وعند أقطابها أمثال "توينبي" و"كارل ماركس" و"سبنجلر" وغيرهم، واستطاع بذلك أن يُلمّ بجوانب النقص وجوانب القوة في فلسفات هؤلاء وفي اتجاهاتهم . .[1]

إنّ التجديد الحضاري ليس مرتبطا بأرض ما أو جنس ما أو لغة ما بل هو ظاهرة إنسانية تقوم حيث يعيش الإنسان وإذا غابت موانعها وتوفرت لوازمها وشروطها، هذه الظاهرة تتكون عندما يشرع الإنسان في تغيير ما بداخل نفسه ليغير ما في خارجها بعد ذلك، بحيث تتغير أفكاره وأخلاقه ومشاعره وعاداته وآماله وغاياته، فالظاهرة تنشأ عن تحول في حياة الإنسان النفسية ثم الاجتماعية بعد ذلك، وهي تقوم أساسا على تغير تصورات وفهوم الإنسان ونظراته إلى ذاته وإلى محيطه، كما يتصور المعنى من وجوده والرسالة الملقاة على عاتقه، وفي هذا الإطار يتصور المبادئ التي يتقيد بها والغايات التي يصبو إليها والوسائل والسبل التي تمكنه من ذلك في كل نشاط يقوم به، هذا التغير يكون أولا في المجال الفردي ثم يشق طريقه نحو المجال الاجتماعي . ارتباط التجديد الحضاري بعامل التغيير يؤكده القرآن الكريم في الآية الكريمة: ﴿إنّ الله لا يغيّر ما

---

(1)**فكر مالك بن نبي في خطي الإصلاح وفلسفة التاريخ** .مرجع سابق

بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾.[1] وهو مبدأ ينسجم مع السنن الكونية إذ لا يمكن لمجتمع أن يتغير نحو الاستواء ونحو الأفضل ما لم يتغير أفراده، ولا يتغير أفراده ما لم يبدأ هذا التغيير في نفس كل فرد الذي هو جزء من المجتمع، والمجتمع ليس هو مجرد حاصل جمع أفراد بل هو نظام وشبكة من العلاقات لا حصر لها ولا عد تمثل شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتجلى في نسق اجتماعي قوانينه متماسكة في وحدة عضوية لا تقبل التفكك والانقسام، وتفككها يعني تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية وبالتالي تفكك المجتمع .

إنّ عنصر التغيير الذي يحدث في نفس الفرد ثم يتحول إلى المجتمع يدل على العلاقة العضوية بين الفرد والمجتمع حتى أن بعض العلماء أرجعوا كل ما هو فردي إلى المجتمع واعتبروا الفرد مرآة عاكسة لكل ما هو اجتماعي، انتبه "مالك بن نبي "لهذه المسألة واعتبر الفرد عنصرا أساسيا وفعّالا في المجتمع، والمجتمع يؤثر تأثيرا كبيرا في أفراده في حالة نمائه وازدهاره وفي حالة فساده وانحطاطه، فالفرد "يدفع ضريبة عن اندماجه الاجتماعي إلى الطبيعة وإلى المجتمع، وكلما كان المجتمع مختلا في نموه ارتفعت الضريبة."[2]فالتغير الذي يمثل جوهر التجديد الحضاري هو الذي يضمن التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في الفرد كما يضمن التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع ضمن إطار تتحدد فيه حاجيات الفرد ومطالب المجتمع بعيدا عن الإفراط الأحادي في تلبية الحاجيات الفردية والاجتماعية.

يمثل التجديد الحضاري في ارتباطه بإنسان المجتمع والتاريخ قوة فعّالة أساسها التغيير، تقوم هذه القوة بدفع الإنسان إلى الحركة داخل التاريخ ليبني الحضارة فينتقل الإنسان على أثر الدفعة الصادرة عن القوة من مرحلة ما قبل الحضارة إلى مرحلة الحضارة، يوجد فرق كبير بين إنسان ما قبل الحضارة والإنسان المتحضر، فالأول يعيش على الطبيعة في تصوراته وأخلاقه وسائر أعماله، تحركه حاجاته البيولوجية ومعطيات بيئته الجغرافية والبشرية التي تتميز بالبساطة لا التعقيد، وهو

---

(1)قرآن كريم: سورة الرعد، الآية11.

(2)مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص34.

حال الإنسان في المجتمعات البدائية وحال العرب في الجاهلية، أما إنسان الحضارة يعيش على الطبيعة وعلى ما تبدعه عبقريته في الجانب الفكري والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي، استطاع أن يسخر طاقاته لإضافة عالم جديد إلى عالم الطبيعة الموهوب بالفطرة، هو عالم الحضارة، وعندما يقف الشخص على قمّة جبل ينظر نحو الأسفل يرى المدينة بمبانيها وشوارعها والبحر في شمالها والسماء فوقها والجبال والغابات من حولها فهو يرى العالم الجديد عالم الحضارة الذي هو امتداد للطبيعة أضافه الإنسان إلى عالم الطبيعة .

يتضح مما سبق أن التجديد الحضاري هو إستراتيجية البناء الحضاري، والحضارات التي شهدها تاريخ الإنسانية هي تجسيد لهذه الإستراتيجية وتنفيذ لهذه الخطة الموسومة فيها والتي تحدد المبادئ والغايات كما تعيّن الوسائل والسبل انطلاقا من حركة تغيير مضبوطة وذات فعالية تسمح للإرادة الحضارية بالإقلاع في عملية البناء والتجديد وتحطيم كل ما يعيق التحضر ويمنع النهضة، ففي مرحلة ما قبل الحضارة يقوم التجديد الحضاري بعملية تجمع فيها سائر الشروط والعوامل النفسية والاجتماعية للانطلاق وبعد الانطلاق يواصل التجديد سيره لضمان أهداف وغايات حضارية تاريخية .

إنّ دور التجديد الحضاري تحدده مراحل المجتمع المتحضر كما يحدده عمر الحضارة ومن خلال أطوارها الثلاثة، ففي مرحلة ما قبل الحضارة يقوم بتوفير الشروط اللازمة للبناء الحضاري إذ ينقل الفرد والمجتمع من مرحلة اللاحضارة إلى مرحلة الحضارة وخلال مرحلة الحضارة يقوم بتطوير الحضارة في الجانب الفكري والاقتصادي ضمانا لاستقرارها واستمرارها، واستمرار الحضارة يعني استمرار الأمة المتحضرة، كما يقوم التجديد الحضاري بعلاج الوضع الناتج عن اختلال الحضارة أو انهيارها وأفولها .[1]

(1)فكر مالك بن نبي في خطي الإصلاح وفلسفة التاريخ .مرجع سابق

خاتمة

خاتمة :

إنّ المتصفح لفلسفة "مالك بن نبي" في الإصلاح ولنظريته في الحضارة والتجديد، يكتشف عالما فكرياً فلسفياً مليئاً بالمفاهيم وغنياً بالتصورات وفريداً في نوعه وجديداً في العديد من جوانبه، خاصة فيما يتعلق بالحضارة وعناصرها وشروطها وأطوارها، فهو يري أن ظاهرة التخلف ليست طبيعية في البشر، بل تعود إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، وتستفحل عندما تغيب الشروط والأدوات اللاّزمة للنّمو الفكري والأخلاقي والاجتماعي، هذا النّمو هو السبيل إلى التحضر، تقابله مجموعة من المشاكل والوضعيات والظروف الفاسدة المنهارة في حياة الفرد والجماعة في جميع جوانبها الفكرية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها،

هذه المشاكل والظروف والوضعيات ترتبط بظاهرة التخلف والانحطاط، وتقوم الحضارة باعتبارها إطاراً يضمن لكل فرد داخل المجتمع مطالبه وحاجاته في كل طور من أطوار وجوده، بإعطائه الأدوات واللوازم الضرورية للمجتمع النامي المالك لقدرات فكرية واجتماعية واقتصادية إرادة استعمال سائر القدرات في حل المشاكل التي تواجه المجتمع المتخلف، والحضارة هي التي تكوّن هذه القدرة وهذه الإرادة معًا، وهما لا تقبلان الانفصال عن دور المجتمع النامي، فالحضارة هي شرط إيجاد القدرة والإرادة لتجاوز التخلف والتدهور في ذات الفرد وفي مجتمعه، وهي ترتبط بالإنسان والتراب والزمن والفكرة الدينية التي تجمع بين العناصر الثلاثة في مركب واحد هو الحضارة .ولها عمر وأطوار هي: طور الروح، طور الأوج، و طور الأفول، تسبقها مرحلة ما قبل الحضارة وتليها مرحلة ما بعد الحضارة، لكل واحدة من المرحلتين خصائص ومميزات، وتشترط الحضارة التغيير على أسس القاعدة الإلهية التي تعبر عنها الآية القرآنية :﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسهمْ**﴾ .

إذا كانت الحضارة بناءا لا تكديسا واستيرادا فهي فاعلية إنسانية تقوم على تغيير الإنسان في عالمه النفسي أولا ثم تغيير محيطه ثانيا، وتحصل هذه الفاعلية بتوفر جملة من الشروط والعوامل النفسية والاجتماعية والروحية والمادية، وبتوفر الإرادة والقدرة على إبداع المعرفة وإنتاج الأشياء، واستغلال ذلك لخدمة الإنسان وضمان راحته، ولفصل الحضارة الحقيقية عن الحضارة المزيفة،

فالأولى تلد منتجاتها أما الثانية فهي من صنيع منتجات حضارات الغير، والتجديد الحضاري ظاهرة إنسانية ترتبط بالحضارة وبشروطها وعناصرها وأطوارها وازدهارها وتكون سابقة على الحضارة فتصنع النمو والتحضر والازدهار، كما تكون ملازمة لها فتستمر في تنميتها وتطويرها، وقد تكون سببا في انهيارها وأفولها، والمقصود هنا عندما تبلغ الحضارة طور العقل يضعف سلطان الروح وتسترد الغريزة نفوذها فتهوي بالإنسان إلى حضيض الحيوانية حيث شريعة الغاب .

لقد تميزت نظرية الحضارة عند "مالك بن نبي" بجملة من المميزات التي لم يشهدها مصلح آخر في فكره الإصلاحي، فهي نظرية انبثقت من تحليل تميّز إلى حدّ بعيد بطابعه العلمي، وبالدقة والعمق والموضوعية، والواقعية في طرحه ومعالجته للمشكلات والظواهر في حياة الفرد والمجتمع، كما تميزت الحلول التي جاء بها لتلك المشكلات والتصورات التي خرج بها من دراساته وبحوثه المعمقة للتاريخ والواقع بالقوة لارتباطها بالعلم والواقع والتاريخ والدين، و تميّز منهجه في البحث بطابعه العلمي وبتنوعه، فهو يستخدم المنهج الرياضي وطريقة المؤرخ ومسلك عالم الاجتماع وسبيل الكيميائي وغيرها، هذا ما زاد في متانة وقوة أفكاره ودقتها، وزاد في انسجام هذه الأفكار والتصورات مع ما يجب فعله في العمل الإصلاحي التجديدي .

تمثل نظرية "مالك بن نبي" في الحضارة، إستراتيجية إصلاحية تجديدية تستهدف تغيير الواقع الإنساني عامة وواقع العالم المتخلف ــ العالم الإسلامي جزء منه ــ بصفة خاصة، بحيث تضع بين يديه آلية فكرية نظرية للخروج من التخلف وبلوغ مستوى الحضارة، فهي مشروع منهج وضعه صاحبه للقضاء على ظاهرة التخلف بعدما درسها وكشف عن عوامل وأسباب وجودها، ولغرض الوصول إلى الحضارة بعدما درسها وكشف عن قوانينها وآلياتها الروحية والمادية. تميّز هذا المنهج بالقوة والمتانة لارتباطه بالعلم والدين والتاريخ، وبقوانين هذه الأطر الفكرية والروحية باعتبارها مصادر توجيه وقيادة في حياة الإنسان، ولارتباطه بالفكر الإنساني القديم والحديث وبواقع الإنسان المعاصر في العالم المتقدم بما له وما عليه، وفي العالم المتخلف بما عليه، وخاصة في العالم الإسلامي الذي لا ينقصه سوى تطبيق المناهج الكفيلة بإخراجه من عالم الانحطاط وتمكينه من الحضارة، وهو أمر ليس بعسير على إنسان بين يديه كافة شروط التحضر. فهو منهج في الإصلاح يستند إلى رؤية

فلسفية إلى الإنسان والحضارة والتاريخ، وإلى فكر اجتمعت فيه الأصالة مع التجديد، فكان مشروع خطة للنهضة وللصحوة وللحضارة، ونموذجا من نماذج الفكر الإصلاحي لا يستهان به، بل يقدر حق قدره لِمَا لصاحبه من نظرة ثاقبة وقدرة على الطرح والتحليل والنقد والاستنتاج، ولما لهذا المنهج من تكامل بين عناصره، ومن انسجام مع ما تقتضيه مستلزمات البناء التاريخي والنهضة الحضارية .

لقد تبيّن لي وبوضوح من قراءتي لبعض الجوانب الهامة في فلسفة الحضارة والتاريخ عند "مالك بن نبي"، أن ما يجمع بين لمحاولته ومحاولات غيره من مفكري الإسلام في العصر الحديث والمعاصر الكثير، ويتعلق الأمر بالظروف التاريخية الزمنية والمكانية التي الواحدة والمتشابهة، والتي فيها نبتت فكرة الإصلاح عندهم، فهي واحدة تماما، حيث الإسلام والاستعمار والتخلف في العالم الإسلامي من جهة والحضارة والعلم والتكنولوجيا في أوربا الحديثة والمعاصرة من جهة أخرى، هذا الذي شكل روافد و مصادر الفكر الإصلاحي في عصرنا، وأوجد وحدة في المبادئ والأهداف والتطلعات، والاختلاف بين المحاولات ليس في الجوهر أو في الأساس أو في الهدف، بل في بعض الجوانب التي تخص طبيعة البحث والدراسة وطبيعة الإصلاح ومنهجه، ونوع المحاولة وخصوصياتها .

فالبحث عند "مالك بن نبي" جاء ذا طابع علمي واقعي، وجاء الإصلاح بطابع اجتماعي علمي واقعي تاريخي، وجاء منهج البحث يقوم على التغيير في الفرد والمجتمع، وعلى القضاء على أسباب التخلف والأخذ بأسباب الحضارة كما هي في نظرية الحضارة، كما يقوم على التوجيه الديني والأخلاقي والعملي مع الاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين العلمية والحضارية، و لم تكن المحاولة خاصة أو موجهة لفئة بعينها بل جاءت عامة تشمل العالم المتخلف والعالم العربي والإسلامي جزء منه لكونها مشروع تحرر واستقلال وإصلاح ونهضة وتحضر، وهو مشروع يعني أي عالم متخلف يحتاج إلى الخروج من التخلف وأي أمة تسعى نحو الريادة .

جاءت فكرة التجديد الإصلاح في المشروع نتيجة واقع المسلمين المتردي، وتُشكّل محاولة فكرية لتغيير النفس والفكر والواقع في العالم الإسلامي، تميزت بالقوة لارتباطها بالإسلام وبالعلوم

المزدهرة وبالفكر الإسلامي، وتشكل رؤية فلسفية إلى الإنسان والحياة والتاريخ والحضارة، وتمثل مشروع خطة ذات طابع فكري نظري، للنهضة وللتجديد ولبناء الحضارة، وللدخول إلى التاريخ، وإلى حلبة المعترك الحضاري، واحتلال أمة الإسلام لمكانتها اللائقة بها في إطار الحوار والتواصل الندّي الحضاريين .

إذا كان الفكر الإصلاحي عند مالك تميز بالقوة والمتانة نظرا لصلته المباشرة بواقع وحياة المسلمين في العالم الإسلامي المعاصر، ولتعبيره عن مشاكلهم وهمومهم، وعن آمالهم وتطلعاتهم، وبلوغه مستوى رفيع من الحقيقة في مناهجه وأساليبه لأنه أخذ بالدين والعلم وبالتاريخ، واستطاع أن يكفل التوازن بين طرفي الكمال، الروح والمادة، الدين والدولة، الدنيا والآخرة، فما أحوج العالم الإسلامي المعاصر إلى المشروع للتجديد ولبلوغ السمو الروحي والأخلاقي، ولبناء حضارة تلد منتجاتها الفكرية والمادية، ولضمان التوازن بين المثال والواقع، بين الروح والمادة، وبين الدين والدولة، ذلك هو عين التحضر وقمّته، وهو مبتغي الإسلام ومقصده، فالحضارة هي التمكين لقيّم ومبادئ الإسلام على أرض الله.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- **مالك بن نبّى. إنتاج المستشرقين:** مكتبة عمّار ، 1971م .

2- **مالك بن نبّى. تأملات** : ط دار الفكر ، دمشق ، ط عام 1985م

3- **مالك بن نبّى. دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين:** ط2 ، ط عام 1977م

4- **مالك بن نبّى. شروط النهضة:** ترجمة عبد الصبور شاهين ،ط دار الفكر دمشق،عام 1960م .

5- **مالك بن نبّى. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة** : دمشق ، دار الفكر ، عام1979م .

6- **مالك بن نبّى. الظاهرة القرآنية** : الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ،ط 1978م .

7- **مالك بن نبّى. فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج** : ترجمة عبد الصبور شاهين، ط دارالفكر ط عام 1981م.

8- **مالك بن نبّى. فكرة كمنويلث إسلامي** : ترجمة الطيب الشريف ط دار الفكر دمشق، ط 2، عام 1999م .

9- **مالك بن نبّى. في مهب المعركة** : دمشق ، دار الفكر،ط عام 1981م .

10- **مالك بن نبّى. مذكرات شاهد القرن الطالب** : بيروت ، دار الفكر، عام 1969م .

11- **مالك بن نبّى. المسلم في عالم الاقتصاد:** ط دار الفكر، دمشق، ط عام 1979م .

12- **مالك بن نبّى. مشكلة الأفكار:** ترجمةعبد العظيم علي، ط دار الدعوة، ط 1، عام 1979م.

13- **مالك بن نبّى. مشكلة الثقافة** : دار الفكر دمشق، ط4عام 1959م .

14- **مالك بن نبّى. ميلاد مجتمع** : ترجمة عبدالصبور شاهين ، دار الفكر دمشق ، عام 1974م

15- **.مالك بن نبّى. وجهة العالم الإسلامي"** ترجمة عبد الصبور شاهين ، نشر دار الفكر ط عام 1954م.

16- **مالك بن نبي. الفكر الإسلامي المعاصر:** غازي التوبة، دار القلم بيروت، ط3، عام 1977 م.

17- **مالك بن نبي. فلسفة الحضارة عند مالك بن نبّي:** سليمان الخطيب، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي،

18- **مالك بن نبي. ومشكلات الحضارة:** زكي ميلاد ، دار الفكر ،ط1 ، 1998م.

19- **مالك بن نبي آفاق جزائرية: للحضارة، للثقافة،** للمفهومية، ترجمة الطيب الشريف، (الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1964)

20- **مالك بن نبي. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،** ترجمة محمد عبد العظيم علي، (القاهرة: مكتبة عمار

21- **مالك بن نبي .مقدمة كتاب بين الرشاد والتيه:** ، دمشق دار الفكر، 1978

22- **مالك بن نبي إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع 1969 ، لطبعة:1**

23- **أسعد السحمراني مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً:** ، مطبعة دار النفائس ط2، 1986م.

24- **محب الخطيب أبي الفيض السيد محمد الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس:** دار الفكر، عام 1994م.

25- **بركات محمد مراد . مالك بن نبي فيلسوف الحضارة شاهد القرن** . العدد الرابع 2003

26- **محمد بن المختار الشنقيطي .خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين** قطر 2010

27- **مولود عويمر محاضرة قدمها الكاتب في ملتقى "الفكرة عند مالك بن نبي"** الذي نظمه مركز الرؤية للدراسات الحضارية يومي 25 و26 أكتوبر 2013.

28- **عبد العزيز العتيق . مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي** بيروت 2004

29- **علياء بهاء الدين حسين أبو خاطر مالك بن نبي المفكر و الفيلسوف الإسلامي** بحث مقدم إلى:نقابة المهندسين ـ محافظات غزة2008

30- **ابن منظور، جما ل الدين محمد، لسان العرب،** المجلد الرابع، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1955 م ، حرف الراء، فصل الحاء

31- **عمار توفيق احمد بدوي. مقومات ا لحضارة من منظور القران الكريم.** مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة فلسطين2005

32- **مُحمَّد بشير ' القيم الحضاريَّة: مفهومها وأهميَّتها ووسائل تطبيقها في السنَّة النَّبويَّة**دراسات دعوية 2008م العدد 15

33- **ـحسين مؤنس الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها سلسلة عالم المعرفة.ط2 1993**

34- **عبد الصمد السويلم الوعي الحضاري في الفكر الاسلامي المعاصر الحضارة.. المصطلح والمفهوم بحوث ودراسات 2008**

35- **ـ بن كوسة دليلة . المشروع الحضاري الاسلامي بين العالمية والعولمة** مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية والاعلاقات الدولية جامعة الجزائر 2010

36- **فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي حوار الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة))** الرسالة الدكتوراه في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة – قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية – جامعة الملك سعود 1430ه

37- **صامويل هنتنجتون صدام الحضارات واعادة صنع النظام العالمي. طلعت ال**شايب ط2 1999

38- **بن كوسة دليلة . المشروع الحضاري الاسلامي بين العالمية والعولمة** مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في العلوم السياسية والاعلاقات الدولية جامعة الجزائر 2010

39- **ابو الاعلى المودودي نحن والحضارة الغربة** . جدة الدار السعودية لنسر والتوزيع 19984

40- **مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، ط4 ، دار الك**تب العلمية، بيروت، لبنان

41- **عبدالعزيز بن عثمان التويجري خضائص الحضارةالعربية الاسلامية وافاق المستقبل .**

42- **محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الاسلامية في القرآن،**

43- **الوعي الحضاري في الفكر الاسلامي المعاصر عبد الصمد السويلم الحضارة.. المصطلح والمفهوم بحوث ودراسات 2008**

44- **عصام محمد علي عدوان مشكلات العالم الإسلامي الثقافية والفكرية والدينية ومعالجاتها في فكر مالك بن نبي** بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية جامعة القدس المفتوحة– منطقة غزة التعليمية 2007

45- **هدية العياشي أمنوح .منهج مالك بن نبي في دراسة الغرب** **www.binbadis.net2012**

46- **محمد سيف الإسلام بوفلاقة أنواع الغرب عند مالك بن نبي**قراءة في العدد (5/4)من مجلة بونة للبحوث والدراسات الخاص بمالك بن نبي جامعة عنابة،2013

47- **عودة عبد عودة عبد الله.التراث التفسيري للقرآن بين الأصالة والمعاصرة** جامعة النجاح الوطنية/ فلسطين

48- **طلال بن عقيل بن عطاس الخيري مفاهيم الحضارة والمدنية والثقافية وموقف النظرية التربوية الإسلامية** بحوث ودراسات جامعة الملك عبد العزيز 2008

49- **عيادة ابن أيوب الكبيسي التراث المنقول ومناهج النظر فيه(التفسير بالمأثور أنموذجاً)** مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية2009م

50- ***منة الله مجدى بهجت مصطلح المنهج التجديدي بين المفهوم الإسلامي والغربي*** *بحث في مادة مناهج الدعوة كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية ماليزيا*

51- **جمال بروال الدورة الحضارية فكر مالك بن نبي وازوالد اشبنجلر** مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في فلسفة الحضارة جامعة حاج لخضر باتنة 2013

52- **جيلالي** بوبكرسنّة التجديد: المدلول والمفاهيم المحايثة لها / مركز الأصالة للدراسات2011

53- عبد القادر بخوش-معالم مدرسة التجديد الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر1 - مالك بن نبي نموذجا مجلة المسلم المعاصر. لبنان العدد 2008129

54- ***جيلالي بوبكر موقع فكر مالك بن نبي في خطي الإصلاح وفلسفة التاريخ*** *موقع الشهاب* www.chihab.ne

الفهرس

المدخل أ	ا
الفصل الأول : عصر وحياة مالك بن نبي	1
المبحث الأول : حياة مالك بن نبي	1
المطلب الأول: اسمه ومولده	1
المطلب الثاني: نشأته	2
المطلب الثالث:طلبه للعلم	5
المبحث الثاني : شخصيته والعوامل المؤثرة في ثقافته	6
المطلب الأول : شخصيته	6
المطلب الثاني : العوامل المؤثرة في ثقافته	8
المطلب الثالث: وفاته	10
المبحث الثالث : أعماله ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه	11
المطلب الأول : أعماله	11
المطلب الثاني: مؤلفاته	12
المطلب الثالث: أقوال العلماء	15
الفصل الثاني : الحضارة عند مالك بن نبي	16
المبحث الأول : تعريف الحضارة ومفهومها عند مالك بن نبي	16
المطلب الأول : تعريف الحضارة لغة واصطلاحا	16
المطلب الثاني: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي	22
المطلب الثالث : مراحل الحضارة مرحلة الروح، مرحلة العقل، مرحلة الغريزة	23
المبحث الثاني : عناصر الحضارة عند مالك بن نبي	26
المطب الأول : الإنسان	26
المطلب الثاني :الوقت	28

المطلب الثالث : التراب		30
المبحث الثالث :موقف ابن نبي من الحضارة الغربية المعاصرة والاستعمار و الاستشراف		30
المطلب الأول: موقفه من الحضارة الغربية		30
المطلب الثاني : موقفـــــــه من الاستعـــــمار		34
المطلب الثالث : مـــــوقفـــــه من الاستشراف		36
الفصل الثالث :التجديد الحضاري عند مالك بن نبي		39
المبحث الأول : التجديد الحضاري مدلوله وأبعاده في فكر مالك بن نبي		39
المطلب الأول : مدلول التجديد الحضاري		39
المطلب الثاني : شروط التجديد الحضاري		43
المطلب الثالث : أبعاد التجديد الحضاري		47
المبحث الثاني : معالم مدرسة التجديد عند مالك بن نبي		52
المطلب الأول :النـــزعة التقويمية للحضارة الغربية		52
المطلب الثاني - النـــزعة العدوانية		53
المطلب الثالث :النـــزعة العلمية		54
المبحث الثالث :الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي في العالم الإسلامي المعاصر		55
المطلب الأول : الفكر الإصلاحي عند مالك بن نبي		56
المطلب الثاني : مكانة مالك بن نبي في الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي المعاصر		57
المطلب الثالث : موقف مالك بن نبي من حركة الإصلاح الحديثة		61
المطلب الرابع : إستراتيجية البناء الحضاري واستمرار الأمة		63
خاتمة		68
قائمة المراجع		72
الفهرس		75